الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم الأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

الموسومة بـ

التجليات الاجتماعية في رواية "قلب الإسباني" لجميلة طلباوي

إعداد الطالبة:

أحلام شاوش

تحت إشراف الأستاذة:

أ.د أمينة بن جماعي

لجنة المناقشة		
أ.د. وهيبة بن حدو	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د.محمد شيراني	جامعة تلمسان	ممتحنا
أ.د.أمينة بن جماعي	جامعة تلمسان	مشرفا ومقررا

السنة الجامعية: 1444-1445هـ/ 2022-2023م

الإهداء

إلى رمز الشهامة و الكبرياء، إلى من تشهد له مشاعري بالامتنان "أبي الغالي".

إلى من كانت دعواتها تنير طريقي ، إلى من غمرتني بفيض حنانها "أمي الحبيبة".

إلى من تسعد عيني برؤية وجوههم، ويبتهج قلبي بسماع رنات ضحكاتهم أخواتي "حنان" و "نادية" وأخي "أنيس" .

إلى البرعمتين الصغيرتين، ابنتي أختي "إسراء وحفصة" .

إلى من تطيب الأوقات بصحبتهم ، ويصبح لكل شيء معنى معهم ...صديقاتي الحبيبات .

إلى الأيادي التي لم تبخل علي بالعطاء يوما ، و إلى من فتحوا لي أبواب فكرهم الواسع .

شكر وعرفان

أتقدّم بخالص الشكر والتقدير والامتنان إلى الأستاذة المشرفة و الفاضلة "أمينة بن جماعي" على مجهوداتها معي والتي فتحت لي باب فكرها الواسع والتي لم تبخل عليّ بإرشاداتها ونصائحها التي أنارت طريقي بالمزيد من العلم والمعرفة والتي كانت خير من ساندني في إنجاز هذا العمل جزاها الله كلّ خير .

كما أتقدّم بالشكر والتقدير إلى كلّ من :

الأستاذ الفاضل "محمد شيراني" .

والأستاذة الفاضلة "وهيبة بن حدو" .

على قبولهما مناقشة هذا البحث المتواضع فلهما خير الجزاء .

مقدمة

إن كثيرا من النصوص الروائية تنفتح على مضامين اجتماعية، وتكون بمثابة مرآة عاكسة للمجتمع، ورواية جميلة طلباوي "قلب الإسباني" لم تَشِذّ عن هذه المسلمة فكان الجانب الاجتماعي واضحا في المتن الروائي، فكيف تمّ عرض الفكرة الاجتماعية لرواية قلب الإسباني؟ كيف عالجتها؟ وما هي النتائج التي تكون قد خرجت بها؟ وهل كان الانعكاس للمضامين الاجتماعية في الرواية صادقا؟

ومن الأسباب الذاتية والموضوعية التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع هو رغبتي في دراسة هذا المجال، واهتمامي بهذه المواضيع وحبّي لها، وكذلك رغبتي في إثراء البحث العلمي وربّما اكتشاف جُزْئِية لم يلتفت إليها الذين من قبلي لاستكمال حلقة البحث والدراسة.

ومن بين الدراسات التي تطرّقت إلى الجانب الاجتماعي في النص الروائي سوسيولوجيا الأدب والرواية لفضيلة فاطمة دروش، وكذا المرأة في الرواية الجزائرية لصالح مفقودة.

ولقد جاءت خطّة البحث كالتالي: بدأت بتمهيد عرضت فيه لنشأة الرواية الجزائرية وتطوّرها، ثم كان الفصل الأول الذي تطرّقت فيه إلى الملامح الاجتماعية في النص الأدبي حيث تناولت في المبحث الأول الملامح الاجتماعية في الأدب :(في فنّ القصة ، وفن المسرحية ، وفن المقال ، كما أنني لم أغفل عن ذكر فن المقامة وكذا فن الشّعر)، أما المبحث الثاني فكان عبارة عن رصد للملامح الاجتماعية في الرواية، أمّا المبحث الثالث فخصّصته للرواية الجزائرية وأهمّ الملامح الاجتماعية فيها، ثم جاء الفصل الثاني الذي كان فصلا تطبيقيا حاولت فيه أن أستجلي الملامح الاجتماعية في النص الروائي قلب الاسباني لجميلة طلباوي، وختمت البحث بمجموعة من النتائج.

ولقد اعتمدت في هذا البحث على مصدرٍ وهو قلب الاسباني لجميلة طلباوي وكذا على كتاب سوسيولوجيا الأدب والرواية لفضيلة فاطمة دروش وأيضا مؤلّف الأدب الجزائري باللّسان الفرنسي لأحمد منوّر وكذا كتاب صالح مفقودة المرأة في الرواية الجزائرية.

ولعل من أكثر الصعوبات التي واجهتني أثناء إعداد مذكرتي وهو ضيق الوقت .

ولقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي دون نسيان المنهج الاجتماعي الذي يعدّ عنصرا مهمّا لمثل هذه الدراسات.

وفي الأخير أتوجه بخالص الشكر والامتنان إلى الأستاذة المشرفة "أمينة بن جماعي"، كما أتقدم بشكري أيضا إلى الأساتذة الأفاضل، أعضاء لجنة المناقشة الذين سهروا على تصويب هذا العمل والذي أخذ من وقتهم وجهدهم رغم انشغالاتهم.

أتمنّى أن أكون قد وفّيت البحث بعضا من حقّه، بحيث أنه مازال يحتاج إلى دراسات أخرى توصله ربما إلى نتائج مختلفة لم يتوصل إليها هذا البحث.

أحلام شاوش

الأربعاء 01 ذو القعدة

1444هـ / 24 ماي 2023م

كلية الآداب واللّغات

قسم اللغة العربية وآدابها.

المدخل

نشأة الرواية الجزائرية وتطورها

أ/نشأة الرواية الجزائرية

ب/تطور الرواية الجزائرية

نشأة الرواية الجزائرية وتطورها:

تعد الرواية من الأجناس الأدبية النثرية التي تتفرد بخصائصها عن غيرها من الأجناس الأدبية الأخرى.

يقول عبد الملك مرتاض في كتابه في نظرية الرواية: "الرواية هذه العجائبية، هذا العالم السحري الجميل، بلغتها، وشخصياتها، وأزمانها، وأحيازها، وأحداثها وما يعتور كل ذلك من خصيب الخيال وبديع الجمال[1]"، وبهذا يصف لنا عبد الملك مرتاض جمالية هذا الفن الأدبي وروعته، وهذا الفن يعتبر من الفنون النثرية الحديثة والذي يفتح للقارئ عالما للتخييل والمتعة أيضا.

ودائما مع مفهوم الرواية يمكننا الاعتماد على تعريف بسيط وواضح ألا و هو "الرواية مُؤلّف مكتوب نثرا، الرواية نوع أدبي دون شكل محدّد سلفا، الرواية لا تعرض إلا المحسوس، الرواية تخييل، الرواية حكاية ، الرواية محكيّ [2] "، و من هذا المنطلق يصعب تحديد مفهوم قاطع يُمكّنُنا من خلاله الإحاطة بمفهوم الرواية فهي لا تعرف قواعد ثابتة ، و لا تخضع لأيّ قانون ، و قد تتطوّر موضوعاتها مع الزمن.

أ/ نشأة الرواية الجزائرية:

لا شك أن مجالات دراسة الأدب الجزائري مجالات واسعة و غنيّة ، و من هنا نوجّه اهتمامنا وبحثنا حول نشأة الرواية الجزائرية ، فالرواية الجزائرية هي في الأصل فنّ له جذور ، "و يمكن الإشارة إلى بعض الروايات بدءا بما يمكن أن نعدّه أوّل عمل روائي في الجزائر وهو " حكاية العشاق في الحبّ والاشتياق" لمحمد بن براهيم الذي يدعى الأمير مصطفى ، والذي يعود إلى تاريخ 1849 م – صحيح أن هذا العمل يتّسم بالضعف اللّغوي و التقني ، ولعل هذا ما جعل عمر بن قينة يتحفّظ في اعتباره

[1] عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ،1998، ص 7.

[2] بيير شارتيه ، مدخل إلى نظريات الرواية ، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي ، دار توبقال للنشر، المغرب ، ط1 ، 2001م ، ص 10، 11.

رواية أولى على مستوى الوطن العربي بالرغم من أنها (الحكاية او الرواية) كانت أول عمل قصصي انعكست فيه نتائج الحملة الفرنسية على الجزائر، فقد صادر المستعمر أملاك المؤلّف وأملاك أسرته و اضطهدها" [3]، حيث يذهب أغلب الباحثين إلى أنّ المحاولات الأولى لكتابة رواية في الجزائر كان في أواسط القرن التاسع عشر ، بالرّغم من أنّه يتّسم بالضّعف اللّغوي ، و أعتبر أيضا عملا روائيا غير مكتمل فنيّا .

)ونلاحظ كيف ارتبطت المحطّة النضالية الأولى بالرواية الجزائرية الأولى، وليس مصادفة أن تتزامن أحداث 8 أوت 45 مع ظهور رواية "غادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو و التي ظهرت في الأربعينيّات يقول أحمد منوّر في مقدّمته للطبعة الثانية من قصّة غادة أم القرى : و نعتقد أنه – أحمد رضا حوحو – كتب " غادة أمّ القرى " في بداية الأربعينيّات . و ربّما قبل ذلك بالإسناد إلى المقدّمة التي كتبها السيّد أحمد بوشناق المدني و المؤرّخة في 21-12-1362هـ ، وهو ما قابل حسب تقديرنا 20 يناير 1943م ، أما واسيني الأعرج فقد عدّ غادة أم القرى أوّل عمل روائي مكتوب بالعربية في الجزائر ، فقال عنها إنها ظهرت : "كتعبير عن تبلور الوعي الجماهيري بالرّغم من آفاقها المحدودة)[4]

و هذا ما يجعلنا نُدرك أنّ ظهور أول رواية جزائرية مكتوبة باللّغة العربية كانت رواية " غادة أم القرى " لأحمد رضا حوحو حسب واسيني الأعرج و ظهرت سنة 1943م .

و في سياق آخر حول ظهور الرواية الجزائرية » إن الرواية العربية في الجزائر شهدت إنطلاقة فعليّة مع رواية " غادة أم القرى " التي أصدرها الشهيد " أحمد رضا حوحو " سنة 1947 ، و هو العمل الذي اعتبره النقّاد بداية لتشكل الوعي الروّائي في الجزائر رغم ظروف الاستعمار القاسية كتضييق الخناق على اللّغة العربية ، وفرنسة الثقافة الوطنية إذ يرى عبد الملك مرتاض أنّ النثر الأدبي الجزائري لم يعرف

[3] صالح مفقودة ، المرأة في الرواية الجزائرية ، دار الهدى عين مليلة ، الجزائر ، ط2 ، 2009، ص48 ، 49 .
[4] المرجع نفسه ، ص 49 ، (بتصرّف).

إلاّ محاولة روائية واحدة هي (غادة أم القرى) لأحمد رضا حوحو و هذه الرواية من النوع القصير إن صحّ التعبير لكنّها جاوزت في حجمها مفهوم القصّة القصيرة بكثير و ناهيك أنّ الكاتب نشرها وحدها مستقلّة في مجلّد واحد" [5]، واعتبر هذا العمل الرّوائي لأحمد رضا حوحو بداية لتشكّل الوعي الروائي رغم الظروف القاسية التي شهدتها الجزائر أثناء فترة الإستعمار، حسب عبد الملك مرتاض الذي يرى أنّ الرواية الجزائرية لم تعرف إلاّ محاولة واحدة و هي "غادة أم القرى"، وربّما لم يعتبر "حكاية العشاق في الحبّ و الإشتياق "كونها المحاولة الأولى لأنّها اتّسمت بالضّعف اللّغوي و الفنّي كما قلنا سابقا .

و الأدب الجزائري لم يعرف الرواية الجزائرية المكتوبة باللّغة العربيّة فقط ، و إنّما عرف أيضا أعمالا روائيّة باللّسان الفرنسي ، فقد ظهرت العديد من النصوص الأدبية لجزائريين كتبوا باللّغة الفرنسيّة ، و لاسيما في مجال الرواية، و في هذا الصدد : "فإنّ " جان ديجو " ، المؤرّخ الأول للأدب الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسيّة يتّخذ سنة 1920م كانطلاقة حقيقيّة لهذا الأدب الناشئ ، و يعدّ مؤلّف القايد بن شريف ، الموسوم ب" أحمد بن مصطفى القومي " ، بداية تلك الانطلاقة و ينظر إليه على أنه أوّل رواية يكتبها جزائري باللّغة الفرنسيّة" [6].

وعليه فإنّ الرواية الجزائرية باللّسان الفرنسيّ نشأت سنة 1920 ، حسب "جان ديجو"، ورواية "أحمد بن مصطفى القوميّ " أول رواية جزائريّة باللّسان الفرنسيّ .

)لتظهر بعدها أعمالا روائية أخرى في عشرية 1920-1930 كرواية "زهراء امرأة المنجمي " لعبد القادر حاج حمو، التي صدرت سنة 1925، و رواية " مأمون بدايات مثل أعلى " لشكري خوجة

[5] قبّنة السعيد ، الأنساق الثقافية في الرواية الجزائرية المعاصرة " سفر القضاة " ل: أحمد زغب نموذجا ، رسالة دكتوراه، قسم اللّغة و الأدب العربي ،كلية الآداب و اللّغات ، جامعة غرداية ، 2020 -2021 ، ص37، 38 .

[6]أحمد منوّر ، الأدب الجزائري باللّسان الفرنسي ، دار التنوير للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2007 ، ص88 ، 89.

التي صدرت سنة 1929) [7]. و بعد سنة 1920م التي شكّلت البداية الأولى للرواية الجزائريّة المكتوبة باللّغة الفرنسيّة ، ظهرت أعمال روائية أخرى بشكل متتالي .

ب / تطوّر الرواية الجزائريّة:

عرف الفنّ الروائي في الجزائر تطوّرا وقفزة نوعيّة في فترة معيّنة، يقول مصطفى فاسي: "الرواية الجزائريّة حديثة العهد بالظّهور، والمكتوب منها باللّغة العربية أكثرها حداثة، إلاّ أنّنا نستطيع القول أنّها منذ ظهورها الأوّل قد اقتحمت الساحة الأدبيّة بشكل قويّ، فإذا ما استثنينا المحاولات الأولى البسيطة و المتمثّلة في (غادة أمّ القرى) ، (الطالب المنكوب) ، (الحريق) ، فإنّ (ريح الجنوب) ستبقى تلك الرواية الناضجة التي أعلنت البداية الحقيقيّة القويّة للرّواية الجزائريّة باللّغة العربيّة"[8].

ممّا يعني أنّ الرواية الجزائريّة عرفت النّضج والتطوّر مع رواية "ريح الجنوب" وأعلنت البداية القويّة والحقيقيّة للرواية الجزائريّة المكتوبة باللّغة العربيّة.

وفي سياق آخر حول تطوّر الرواية الجزائريّة حيث "عرفت الرّواية تألّقا وانتشارا أوسع مع طاهر وطّار، فقد أخرج وطّار هذا الفنّ القصصي من التّابوت اللّغوي و المضامين المستهلكة فجاءت اللّاز كإنجاز فنّي جريء يطرح بكلّ واقعيّة و موضوعيّة قضيّة الثورة الوطنيّة لا من وجهة التحالفات المنطقيّة لقوى الثّورة التي فرضتها تلك المرحلة و لكن كذلك من وجهة التناقضات الداخليّة التي كانت تحدث داخل الحزب". [9]

[7] المرجع السابق، ص 94 ، (بتصرف).

[8] مصطفى فاسي، دراسات في الرواية الجزائرية ، دار القصبة للنشر، الجزائر ، ط1 ، سنة 2000 ، ص3.

[9] فضيلة فاطمة دروش ، سوسيولوجيا الأدب و الرواية ، دار أسامة للنشر و التّوزيع ، الأردن ، ط1، 2013، ص126.

ويؤكّد الدّارسون على أنّ فترة السبعينات هي المرحلة الفعليّة التي عرفت النّضج والتطوّر لرواية جزائريّة مكتوبة باللّغة العربيّة تزامنا مع ظهور رواية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة ورواية " اللاّز" للطاهر وطّار .

أمّا في ما يخصّ الحديث عن تطوّر الرواية الجزائرية باللّسان الفرنسي)شكل ظهور رواية "الدّار الكبيرة" لمحمّد ديب سنة 1952 منعطفا حاسما في تطوّر الأدب الرّوائي الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسيّة على مستوى المضمون ، و قد تأكّد هذا التوجّه الجديد في أعمال الكاتب اللاّحقة لا سيما في روايتيّ " الحريق " 1954، و" النول" 1957 اللّتين تشكّلان إمتدادا و تكملة ل "الدّار الكبيرة"، وظهرت في هذه الفترة نفسها أعمال روائيّة أخرى لكتّاب آخرين تسير في الاتجاه نفسه الذي سار فيه أعمال محمّد ديب الأولى ، نذكر منها على الخصوص رواية " نوم العدل " 1955 لمولود معمري، و"نجمة " 1956 لكاتب ياسين ، لتظهر بعدها أعمال روائية أخرى مثل رواية " الانطباع الأخير " 1958 لمالك حدّاد ، التي تعدّ أولى الروايات التي صوّرت وقائع الثّورة المسلّحة ، و " صيف إفريقيّ " 1959 لمحمّد ديب ، و روايته اللاّحقة أيضا " من يذكر البحر " 1961 ، ورواية " التّلميذ والدّرس " 1960 ، و" رصيف الأزهار لم يعد يجيب " 1961 لمالك حدّاد، و رواية " أطفال العالم الجديد " 1962 لآسيا جبّار ، و " الأفيون و العصا " 1965 لمولود معمري ، و"أصابع النّهار " 1967 لحسين بوزاهر ، و" أسلاك الحياة الشّائكة " 1969 لصالح فلاّح). [10]

و هذا ما يجعلنا نفهم أنّ مجموعة من الأدباء الجزائريّين ساهموا في إثراء الأدب الجزائري، وتطوّر الأدب الجزائري باللّسان الفرنسي كان مع ظهور رواية "الدّار الكبيرة " لمحمّد ديب 1952، لتظهر بعدها أعمال روائية أخرى .

[10] أحمد منوّر ، الأدب الجزائري باللّسان الفرنسي ، ص 106، 107، 109، 110،(بتصرّف) .

الفصل الأول

الملامح الاجتماعية في النص الأدبي

المبحث الأول : الملامح الاجتماعية في الأدب .

- في فنّ القصّة .
- في فنّ المسرحيّة .
- في فنّ المقال .
- في فنّ المقامة .
- في فنّ الشّعر .

المبحث الثاني : الملامح الاجتماعية في الرّواية .

المبحث الثالث : الملامح الاجتماعية في الرّواية الجزائريّة .

- الملامح الاجتماعية في الأدب :

الأدب فنّ من الفنون الجميلة ، يعكس أحيانا مظاهر الحياة الاجتماعية ،فالعلاقة القائمة بين الأدب والمجتمع قويّة و متماسكة و تشمل علاقة الأديب بمجتمعه و إدراكه لما يجري حوله .

و من هذا المنطلق "كان هيجل قد حدّد علاقة الأدب بالمجتمع في محاضرة ألقاها في عام 1822 تحدث فيها عن الآداب العالميّة ، و أكّد فيها أنّ هذه الآداب تعبّر و بشكل كامل عن مجتمعاتها ، وإنّه بإمكاننا فهم هذه المجتمعات من خلال الدراسة الواعية لآدابها".[11]

لأنّ الأدب في كثير من الحالات يعكس لنا مظاهر الحياة الاجتماعية لمجتمع ما ، "وتؤكّد دوستال[*12] على كون الأدب صورة للمجتمع"[13]، هذا لأنّ الأدب بمثابة مرآة عاكسة للمجتمع ، حيث يقوم الأديب بعرض الظواهر و المضامين الاجتماعية و الأحداث الواقعة في المجتمع ، و يقوم أيضا بتسليط الضّوء على بعض المشكلات الاجتماعية السّائدة لمناقشتها و إيجاد الحلول لها ، وقد يكون الهدف من عرضه لظاهرة اجتماعية ما ، الرغبة في تغيير نمط فكري سائد بين الأفراد حول تلك الظّاهرة الصّادرة من المجتمع .

)فالأدب ناموس اجتماعي ، يتّخذ وسيلة له اللّغة التي هي وليدة المجتمع ،كما أنّ الأدب يحاكي الحياة ، والحياة – في معظمها – حقيقة اجتماعية ، و كما ورد في كتابات ده بونالد بأنّ الأدب

[11] فضيلة فاطمة دروش ، سوسيولوجيا الأدب والرواية ، ص 38 .

[*12] ولدت في 22 أبريل 1766 وتوفيت في 14 يوليو 1817، اشتهرت باسم مدام دي ستال، كانت سيدة أدب ومنظرة سياسية من اصل جينيفاني، كانت صوت الاعتدال في الثورة الفرنسية والعصر النابليوني حتى استعادت فرنسا.

[13] المرجع نفسه ، ص 36 .

تعبير عن المجتمع [14] (، و بما أنّ الأدب يحاكي الحياة التي هي حقيقة اجتماعية ، إذا فإنّ الأدب اجتماعي .

و في كثير من الفنون الأدبيّة (كالقصّة ، المقامة ، المقالة ، المسرحيّة ، الشّعر ، الرواية .....)، تطرح في مضمونها ظواهر اجتماعية مختلفة .

- في فنّ القصّة :

القصّة جنس أدبيّ نثريّ خيالي ، تعكس في كثير من الحالات صورة المجتمع ، و نلتمس ذلك في بعض القصص نذكر منها على سبيل المثال (قصة الرسالة) ، تدور احداثها » حول الشاب "الطيب" ، الذي اضطرّ للهجرة للعمل والعودة لخطيبته ، لكن النهاية كانت معاكسة لذلك ، حيث تزوّج من فرنسيّة ، فحطّم نفسية والديه و حلم خطيبته "سعدية " ، ف» الهجرة خلقت صراعا بين الأنا و الآخر و جعلت الفرد يعيش في حالة من اليأس والشعور بالانفصال عن المحيط الطبيعي الآمن» .[15]

فقصة " الرسالة " هي قصة جزائرية لعبد الحميد بن هدوقة الذي عالج فيها موضوع الهجرة، وكذلك في "قصّة (ثمن المهر) التي تعالج موضوع فتى فقير يختطب فتاة من أجمل فتيات قريته، ثمّ يمّم الديار الفرنسية ليكدح هناك لعله يستطيع تهيئ المهر ، و تحضير حفل زفاف على نحو يرضيه، لكن سوء حاله في السكن ، و سوء التغذية يسببان له علّة السلّ ، فيقضي نحبه هناك، في مستشفى غريبا عن وطنه ، قاصرا عن ارتشاف رضاب أمله الذي يداعبه إلى حين حينه".[16]

---

[14] رنيه وليك ، أوستن وآرن ، نظرية الأدب ، ترجمة عادل سلامة ، دار المريخ للنشر ، السعودية ، 1412هـ/ 1992م ، ص 131 ، 132 ، (بتصرّف).

[15]نصيرة بليليطة ، تيمات القصّة القصيرة الجزائرية ، https://www.asjp.cerist.dz

[16]عبد الملك مرتاض ، القصّة الجزائرية المعاصرة ، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر، 1990 ، ص 21 .

وكان لكتّاب القصّة دور كبير في نقل الواقع الاجتماعي المعاش و معالجة الكثير من قضايا المجتمع ومشاكله .

- في فنّ المسرحيّة :

يُلقّب المسرح بأبو الفنون ، وهو نوع أدبيّ وشكل من أشكال الفنّ، و يرتبط ارتباطا وثيقا بالمجتمع ، حيث يعتبر هذا الأخير مصدرا للأعمال الفنيّة و المسرحية ، ونشهد في كثير من الأعمال المسرحية طرح لجوانب اجتماعية و مثال ذلك مسرحية جحا (1926)، و خلاصتها : "أن بسبب وشاية – مامان– وهو أحد جيران جحا ينشب بين هذا الأخير وزوجته شجار يشتبكان فيه بالأيدي، فيتدخل الجار ليفصل بينهما ، وهو يضحك من مشهد العراك ، حينها تنقلب الزوجة التي ضربت و أهينت أمامه ضدّه و تجبره على الهرب ، وذهب بعد ذلك جحا في شأن من شؤونه ...وهنا خطرت ببال الزوجة حيلة شيطانية ، ... حيث قالت لأحد الأشخاص أن جحا عالم كبير وطبيب ماهر ... و عندما عاد جحا إلى بيته ، وجد نفسه وجها لوجه مع المبعوثين الذين طلبا منه أن يدلّهما على الطبيب جحا ، فرد عليهم بأنه هو نفسه ، ولكنه ليس طبيبا ...ولما وصل جحا الى قصر السلطان قال له السلطان : سأكافئك مكافأة عظيمة إذا نجحت في علاجه ، وإذا أخفقت سأقطع رأسك .... و استطاع جحا في الأخير أن ينجو من الورطة التي أوقعته فيها زوجته" .[17]

وطرح علالو صاحب هذه المسرحية في مسرحيته موضوعا اجتماعيا عن واقع العائلات، كما عرضها بطريقة فكاهية.

ونذكر أيضا (مسرحية الشيوخ) "ألفها ولد عبد الرحمان كاكي سنة 1964، و أخرجها أيضا في نفس السنة بقاعة المسرح الوطني الجزائري، وهي « دراما اجتماعية بعدة لوحات فنيّة، وعالج فيها العادات ، والأعراف المتخلفة في المجتمع ، تلك التقاليد البالية التي يصدقها الناس بذهنية الهوس و

[17] إسماعيل جبّارة ، البعد الاجتماعي في الخطاب المسرحي الجزائري https://www.asjp.cerist.dz

التضليل للمشعوذين » وتدور أحداث هذه المسرحية في عدة فضاءات مسرحية... "شيخان يتناقشان مع درويش بفكره المشعوذ الخرافي .... ويحاول الشيخان مخاطبة المشعوذ باستعمال العقل البشري ، و أن البشرية تعيش زمن العلم ، والاختراع والإبداع الفكري ....لكن الدرويش يرفض كلّ كلام ينبذ الشعوذة و الخرافة ، و يحاول إقناع الشّيوخ بتقبّل الفكر الخرافي." [18]

و هذا جانب أيضا من " مسرحية الشيوخ " التي طرحت جانبا من الواقع الاجتماعي بعد الاستقلال و مسألة التكيّف معه ، و للمسرح دور فعّال في تمثيل الواقع الاجتماعي و نقل الظّواهر الاجتماعية ، و دراسة المسرحيات تمكننا من معرفة طبيعة المجتمع و قيمه و عاداته و تقاليده .

- في فنّ المقال :

أمّا حينما نلج في الحديث عن فنّ المقال فهو نوع أدبيّ نثريّ محدود الحجم الحجم يطرح موضوعا أو حقيقة و يناقشها في جريدة أو مجلّة ، و هو أنواع : (مقال علمي ، نقدي ، أدبي ، سياسي ، تاريخي ....) ، لكن موضوعنا ليس له علاقة بالأنواع المذكورة ، إنّما له علاقة بنوع آخر من أنواع المقال ألا وهو " المقال الاجتماعي " الذي يختصّ في دراسة ومعالجة موضوعات اجتماعية، وفي هذا الصدد "إنّ مقالات الإمام الإبراهيمي الاجتماعية كثيرة من حيث العدد ومتنوعة من حيث النمط ، ومن هذه الأنماط المقالة الاجتماعية الوصفية كمقالته عن العيد و أثره في النفس والمجتمع، وكذلك المقالة الاجتماعية الشخصية كمقالاته عن الزواج و الطلاق بالإضافة إلى المقالة الاجتماعية الإصلاحية التي تهدف إلى إصلاح المجتمع الذي انحرف عن الأخلاق و غاص في المعاصي و هذا ما كانت تهدف إليه فرنسا في تلك الفترة ، وكذلك المقالة الاجتماعية الانتقادية كمقالته الموسومة بـ (سكوت علماء الدّين من الضلال في الدين) و غيرها من الأنماط". [19]

[18] إسماعيل جبّارة ، البعد الإجتماعي في الخطاب المسرحي الجزائري ، https://www.asjp.cerist.dz

[19] إسماعيل ونوغي ، الأبعاد الإصلاحية في أدب الإمام محمد البشير الإبراهيمي المقال الإجتماعي –أنموذجا– https://.asjp.cerist.dz

وقد أسهم العلامة محمد البشير الإبراهيمي في كتابة عدّة مقالات اجتماعية كان لها دور كبير في النهوض بالأمّة وبناء المجتمع. ويقول في طرحه لمشكلة اجتماعية التي تتمثّل في موضوع الطلاق: "الطّلاق حلّ عقدة، وبتّ حبال، وتمزيق شمل، وزيال خليط، وانفضاض سامر ، فيه كلّ ما في هذه المركبات الإضافية التي استعملها شعراء العرب وجرت في آدابهم العاطفية مجرى الأمثال، من التياع وحرارة، وحسرة ومرارة، ويزيد عليها جميعا بمعنى آخر، وهو ما يصحبه من الحقد والبغض والتألّم والتظلّم".[20]

وهذا مقطع صغير لحديث البشير الإبراهيمي عن مشكلة الطّلاق الاجتماعية، ولقد طرح عدّة مشاكل ومواضيع اجتماعية منها: الشبّان والزواج، والطّلاق، العيد، الصداق .....إلخ .

- في فنّ المقامة :

يعدّ فن المقامة من الفنون الأدبية التي عرفت منذ القدم و هو نصّ أدبيّ يجمع بين النثر والشعر يتخلّله مجموعة قصص قصيرة متفاوتة الحجم يكون الغرض منها النصح والوعظ و التعليم ، وتكشف لنا صور من الحياة الاجتماعية، ومن هنا)عكست موضوعات المقامات في الأندلس الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي، وحملت نقدا جارحا للواقع الذي رفضته وانتقدته و حاولت إصلاحه ، حتّى بدت كأنها ثورة عارمة على المجتمع ، فقد انتقدت أصحاب المهن ، وتداخل الأنساب ، و تنوّع الطّباع و تضاربها ، و فيها حديث عن العادات ، و التقاليد و لمعاملات اليومية ، فهي تعطي للقارئ صورة للحياة اليومية العامة للمجتمع ، ففي المقامات اللزومية انتقدت المقامة الرابعة ظهور طبقة المتسوّلين ، و تفشي عنصر الكدية في أوساطها ، و في مقامات (الدب ، و الحمامة ، و الفردية) ، تبيان لمجموعة من طرق الكدية والاستجداء، و تبيان لأفانين الحيل ، ففيها يراقص الشيخ السدوسي القرد و يلاعبه ، و يكلمه محاولا جلب الانتباه ليفضي بما عنده من حيل، مستغلا القرد للوصول الى

[20] أحمد طالب الإبراهيمي ، عيون البصائر – من آثار الشيخ البشير الإبراهيمي الجزائري ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، ط1، 1997 ، ج3 ، ص297.

غايته، فيقول بعد أن شدّ النّاس من حوله ، وأرقص القرد و أتعبه و هو يقول :" أيّها الناس ، اللّهو ضروب ، و الكريم طروب ، و الأنس خلوب ، و الدهر طلوب، والناس طالب و ملوب ، و إنما هي نفوس و قلوب ، تحادث بالصقال ، و تسرح من العقال ، وي الحاجة و الفاقة ، و الدهر شرّة ، و إفاقة)[21].

و من هنا نستنتج أنّ لفنّ المقامة أيضا دور في الكشف عن جانب من جوانب المجتمع ، وعكست موضوعاتها الواقع الاجتماعي .

- في فنّ الشّعر :

كان للشعر أيضا دور في تصوير المجتمعات و تناول القضايا الاجتماعية كالبطالة، التعليم ، المرأة ، الفقر ، و خاصّة في الشعر الشعبي فقد كان مرآة عاكسة لحياة الشعوب و الأمم، وكان الشاعر الشعبي ناقلا لآلام و آمال و أفراح و أقراح تلك الشعوب ، وقد برز الشعر الاجتماعي أيضا في الأندلس بحيث كثير من شعراء الأندلس صوّروا في شعرهم مجالس الشراب و اللّهو و مجالس الرقص و الغناء و تناولوا العادات و التقاليد و الأعياد و المناسبات و غيرها .

"و يصف لنا ابن خفاجة ، مجلس أنس ، بما فيه من شراب و لهو ، و قد عقد هذا المجلس في الليل ، فيقول :

وندّي أنسٍ هزّني هزّ الشّراب من الشّبابِ

واللّيل وَضاحُ الجبين قصيرُ أذيال الثّياب

والنّورُ مبتسمٌ، وخدُّ الورد محطوطُ النّقاب

[21] مسلم عبيد الرشيدي ، صورة الحياة السياسية و الإجتماعية و الثقافية في المقامات الأندلسية ، مقامات لسان الدّين بن الخطيب و السرقسطي نموذجا ، https://www.iasj.net

فكأن كأس سُلافةٍ ضحكت، إليهم، عن حباب"[22].

و هذا جانب من تصوير ابن خفاجة لمجلس شراب و هذا مظهر من مظاهر مجتمع الأندلس آنذاك .

- الملامح الاجتماعية في الرواية :

لا شكّ أنّ الأدب في جميع مراحله وثيق الصلة بالمجتمع ، بما في ذلك الرواية، لأنّها تعكس طبيعة العلاقات السائدة في المجتمع ، و نجدها أيضا تصف أدقّ الأمور من الحياة الاجتماعية حيث "يذهب رولان بارط (R.Barthes). في بعض كتاباته إلى أنّ الرواية عمل قابل للتكيّف مع المجتمع، وأنّ الرواية تبدو و كأنّها مؤسسة أدبيّة ثابتة الكيان . فهي الجنس الأدبيّ الذي يعبّر بشيء من الامتياز، عن مؤسسات مجموعة اجتماعية ، و بنوع من رؤية العالم الذي يجره معه ، ويحتويه في داخله"[23]، و من هذا المنطلق يمكننا القول أنّ للرواية القدرة على تمثيل الواقع الاجتماعي ، و تعدّ شكلا من أشكال التعبير الاجتماعي .

ودائما مع الرواية والمجتمع "حيث تحاول الرواية كجنس أدبيّ أن تقدم أو تبرز امتلاكا معرفيا وجماليا للراهن الذي تصدر عنه زمانا ومكانا، وامتلاك الراهن يعني: تقديم الحركة الاجتماعية روائيا، فالرواية مجتمع مصغّر أو مقطع من مجتمع" [24]، وهذا ما يؤكّد لنا على أنّ الرواية وطيدة الصلة بالمجتمع، لأنّها تقوم بتقديم الحركة الاجتماعية لمجتمع معيّن و بهذا تكون مرآة عاكسة للواقع الاجتماعي. و في نفس الصدد "يقال عن الرواية رواية واقعية، واجتماعية ، إذا كانت تتجنّب التاريخ المدوّن، وتتناول الواقع من زاوية الحياة اليومية الاجتماعية" [25]أنّ الرواية تعبير عن الواقع والمجتمع.

---

[22] نضال أحمد النوافعة ، الشعر الاجتماعي في الأندلس ، دار جليس الزمان ، عمان ، ط1 ، 2014 ، ص14.

[23] عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية ، ص 34 .

[24] صالح مفقودة ، المرأة في الرواية الجزائرية ، ص 32 .

[25]أبراهيم خليل ، بنية النص الروائي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ، ط1، 2010م ،ص286 .

بالإضافة إلى هذا "شكلت قضيّة علاقة الرواية بالمجتمع محور اهتمام علماء الاجتماع ، كما ظلّت الرواية لسنين طويلة ينظر إليها كتاريخ اجتماعي وعمل عدة باحثين على تبيان أنّ التاريخ الاجتماعي يعكس بدرجة صغيرة أو كبيرة مجتمع الفترة التي تصوّرها الرواية"[26]، ونستخلص من هذا أنّ علاقة الرواية بالمجتمع نالت اهتمام كثير من علماء الاجتماع ، واعتبروا انّ الرواية تأريخ اجتماعي ومن ثمّ ظهر ما يسمىّ بسوسيولوجيا الرواية .

ويقول هيجل حول الرواية في كتابه " الجمال ": "الرواية بمعناها الحديث تفترض مجتمعا منظما تنظيما نثريا حيث تسعى ما أمكنها ذلك الى أن تعيد للشعر وفي نفس الوقت الى حيوية الأحداث وحركية الشخوص مصيرهم و حقوقهم المفقودة" [27]، وهذا يعني ان الرواية قادرة على حصر المجتمع بكلّ أحداثه وتفاصيله .

كما أنّ)ميلاد سوسيولوجيا الرواية يرجع إلى ليسيان جولدمان ، لكن لا يمكن تجاهل الإسهامات الكبرى التي قام بها كلّ من لوكاتش و ميخائيل باختين وآخرون من علماء الاجتماع، وقبل هؤلاء نعدّ هيجل من الذين غيّروا اتّجاه البحث حول الرواية إذ اتجه به نحو البحث عن العلاقة بين الرواية كجنس أدبيّ وبين المجتمع الفردي المعاصر) [28]، أي أنّ ليسيان جولدمان هو من جاء بعلم اجتماع الرواية وأسهم آخرون حول هذا الموضوع بإنجازاتهم منهم لوكاتش وميخائيل باختين و آخرون من علماء الاجتماع ، و لا ننسى أيضا هيجل فهو الذي غيّر مجرى البحث حول الرواية إذْ ذهب بها نحو العلاقة بين الرواية والمجتمع .

ولنلتفت قليلا الى بعض الروايات التي لامست المجتمع و عكست قضاياه وطرحت مشاكله الاجتماعية ، منها رواية زينب ، »و المؤكّد أنّ رواية زينب لمحمد حسين هيكل قد شكلت النواة

[26] فضيلة فاطمة دروش، سوسيولوجيا الأدب والرواية، ص65.

[27] المرجع نفسه، ص 66.

[28] المرجع نفسه، ص66 (بتصرّف) .

الرئيسة للرواية الاجتماعية العربية و أبرزت عبر شخصية حامد و زينب العلاقات الاجتماعية بين الأسر العربية القائمة على التفاوت الطبقي وصورة الرّيف المصري المليء بالسّمات الدّالة على التخلّف[29]«، حيث تناول المؤلّف في رواية زينب الحياة في الريف المصري ، وصوّر العادات و التقاليد و العلاقات الأسرية ....، و كلّ هذا ما كان إلاّ انعكاس لصورة المجتمع المصري آنذاك .

ودائما مع الرواية الاجتماعية "فهي الرواية التي تعني بتحليل قضايا اجتماعية واقعية كقضية الصراع الطبقي ، أو الثأر ، او الجريمة ، وارتباط هذه القضايا بقيم وعادات وتقاليد المجتمع ، ومن الأمثلة على هذا النوع من الأعمال الروائية، رواية "دعاء الكروان" لطه حسين ، و"الثلاثية" لنجيب محفوظ ، و"قنديل أم هاشم" ليحي حقي وغيرها"[30]، من هنا تمّ تقديم مفهوم وجيز حول الرواية الاجتماعية ، و من ثمّ ذكر بعض الأمثلة حول هذا النوع من الرواية .

ولننتقل إلى رواية أخرى بعنوان يوم قتل الزعيم لنجيب محفوظ التي صوّرت واقع مصر في تلك الفترة "التي تقدم لنا ، عبر تعدّد الأصوات رغم قلتها، ملمحا اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا ونفسيا من ملامح جيل معاصر ، يتمثل في الشخصيتين الرئيستين من شخوص الرواية قليلة العدد ، و هما علوان محتشمي ورندة سليمان مبارك ، اللذان يمثلان جيل المعاناة و الغربة و الضّياع و الاحباط وعدم القدرة على تحقيق أبسط الآمال و الأحلام الانسانية المشروعة في ظلّ ما يعرف باسم سياسة الانفتاح الاقتصادي في مصر إبّان حرب أكتوبر 1973م"،[31] حملت هذه الرواية في طيّاتها ملامح اجتماعية ، كما يُنظر الى روايات نجيب محفوظ أحيانا على أنّها وثيقة اجتماعية و سياسية مصرية.

و لنعطي مثالا آخر عن رواية غربية لفيكتور هيجو الموسومة بعنوان البؤساء التي عبّرت عن قضايا المجتمع "إن ظاهرة الفقر التي تحدّث عنها هيجو في رواية البؤساء شملت الشخصيات الرئيسة

---

[29] أحمد عبد اللّطيف شتوح ، التغير الاجتماعي و دلالاته في العمل الروائي ، https://www.asjp.cerist.dz

[30] سعود فطيمة ، المنظور السوسيولوجي للرواية العربية https://www.asjp.cerist.dz

[31] أحمد فضل شبلول ، الحياة في الرواية قراءات في الرواية العربية و المترجمة ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، مصر ، ص23.

للرواية ، من فقر فالجان الذي أودى به الى براثن السجن ، وحاجة فانتين الشديدة التي جعلتها سلعة في أيدي الذئاب تباع و تشترى ، وحالة القهر والعوز التي عاشت بها كوزيت الصغيرة ، والتجربة القاسية التي عاشها الشاب ماريوس ولو أن فترة فقره كان لها الدور الكبير في بناء شخصيته . ففي البداية نجد جان فالجان الذي قضى تسعة عشر سنة من عمره في السجن لسبب وحيد هو محاولة سرقة رغيف خبز يسدّ به جوع سبعة أطفال صغار ". [32]

وما هذا إلاّ جانب من تصوير رواية البؤساء لظاهرة الفقر، فقد صوّرت أيضا جوانب أخرى من الحياة الاجتماعية البائسة التي عاشها الفرنسيون فيما سبق، وتبقى هذه الرواية مثالا حيّا عن الرواية الاجتماعية الغربية .

- الملامح الاجتماعية في الرواية الجزائرية :

لا شكّ أن الأدب الجزائري عامّة و الرواية على وجه الخصوص صوّرت في كثير من الحالات المجتمع الجزائري و كانت مرآة عاكسة للأحداث الاجتماعية في فترة معيّنة كالأدب الاستعجالي مثلا أو ما يسمى بأدب الأزمة الذي ولد خلال فترة العشرية السوداء والذي جسّد الواقع المرير للمجتمع الجزائري في ظلّ تلك الفترة نذكر على سبيل المثال رواية " تيميمون " لرشيد بوجدرة "حيث يكاد صوت القتل يغطّي على كلّ شيء له صلة بالحياة . "وبعدها جاءني صاحب الفندق بالجرائد اليوميّة التي وصلت بالطائرة من العاصمة ، منذ ساعة تسبب انفجار قنبلة وضعها الأصوليون في مطار الجزائر العاصمة في مجزرة خلفت تسعة قتلى او أكثر من مائة جريح جلهم في حالة خطيرة". " أفتح المذياع لأنسى عطشي و أستمع الى الأخبار، اغتيل الأستاذ ابن سعيد هذا الصّباح على الساعة الثامنة بمنزله من طرف عصابة إرهابيّة من الاسلاميّين وقد حدث ذلك بمرأى من ابنته البالغة عشرين عاما ". [33] "

[32] آمال برحمة ، الاتجاه الإنساني في أدب فيكتور هيجو و حافظ إبراهيم – دراسة مقارنة – https://www.asjp.cerist.dz

[33] بن داود شفيقة، المحنة و تجلّياتها في الرواية الجزائرية الاستعجالية فضاء المدينة وتماته – نماذج مختارة – https://www.asjp.cerist.dz

وهذا مانقله لنا رشيد بوجدرة في روايته تيميمون من حالة رعب وهلع وخوف و قتل و موتى ، التي عانى منها الشعب الجزائري بسبب ظاهرة الإرهاب .

ولنقدّم نموذج آخر لرواية جزائرية صوّرت الواقع الاجتماعي المرير الذي عاشه الشعب الجزائري أثناء فترة العشرية السوداء ، "رواية سيدة المقام لواسيني الأعرج (مرثيات اليوم الحزين) : صدرت هذه الرواية أولا بألمانيا عن دار الجمل سنة 1996م ، ثمّ صدرت في الجزائر سنة 1997م عن مؤسسة الفنون المطبعية ، هذا يعني أنّها واكبت أحداث المأساة الوطنية بكلّ تفاصيلها بل إنّها كتبت و الأحداث الإرهابية على أشدّها . يقول واسيني الأعرج : مخطوط هذه الرواية سافر كثيرا بين الجزائر وبيروت والمغرب وفرنسا قبل أن يستقر به المطاف في ألمانيا و يخرج في طبعته الأولى عن دار الجمل . ويعتبر نصّ سيدة المقام من نصوص المحنة التي صوّرت الواقع بكلّ تناقضاته". [34]

ممّا يعني أن رواية سيدة المقام نقلت الأحداث المأساوية الارهابية بكلّ تفاصيلها، والتي واكبت فترة العشرية السوداء ممّا جعلها تدخل ضمن أدب الأزمة.

إنّ الفنّ الروائي الجزائري لعب دورا كبيرا في تصوير الأحداث و الحقائق التي يعيشها المجتمع الجزائري و ملامسة الواقع و نقل قضاياه ، فكان للثورة الجزائرية حضورا بارزا و قويّا في بعض الروايات الجزائرية ، حيث قام الروائيون بالتأريخ للثورة الجزائرية و رصد مقاومة وكفاح الشعب الجزائري وتصوير مشاكله و معاناته في فترة الاستدمار الفرنسي ، و من بين هذه الروايات رواية " اللّاز" للطّاهر وطّار حيث »تعدّ رواية اللّاز من أكمل الروايات الجزائرية المكتوبة بالعربية ، حيث صوّرت الثورة الجزائرية في أدقّ تفاصيلها ، في أسباب قيامها ، فاللاز ليس شخصا بعينه ، إنما هو الشعب الجزائري بكلّ فئاته طاقة فعّالة حركت الثورة و فجّرتها، وهي ليست لقيطة (الثورة التي تجسّدت في اللّاز) بل معروفة النسب فجّرها الفلاّح والأميّ والساذج، وحتّى الخائن بعد توبته عاد وكافح من أجلها . ففي رواية اللاّز

[34] عبد الحميد هيمة ، المأساة الوطنية في الرواية الجزائرية : قراءة في نماذج من الرواية الجزائرية https://www.asjp.cerist.dz

يقدّم الطّاهر وطار وجها آخر من أوجه النقد السياسي، يتجسّد في ذلك الصّراع القائم بين الثورة والاستعمار من جهة والثوّار الشيوعيين وثوّار جبهة التحرير الوطني من جهة أخرى . [35]"

ومن هنا عملت رواية " اللاّز" على رصد أوضاع المجتمع الجزائري و معالجة قضاياه في ظلّ فترة الاستعمار الفرنسي ، وفيه روايات أخرى تناولت أحداث الثورة وواقع المجتمع الجزائري، فقد عمل بعض الرّوائيون على تقديم الحركة الاجتماعية للمجتمع أيام الاستعمار الفرنسي و تجسيد بطولات وانتصارات الشعب الجزائري ، واستطاع الروائي أن ينقل الكثير من الأحداث الثورية والاجتماعية للمتلقّي .

ونموذج آخر لرواية جزائرية كان لها دور في تمثيل الأوضاع الاجتماعية المتدهورة لحياة الأغلبية من الجزائريين في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية وهي رواية " الرّبوة المنسيّة " لمولود معمري "والواقع أنّ " الربوة المنسيّة" كانت بعيدة فعلا عن الانشغالات السياسية للجزائريين في مرحلة ما بعد الحرب العظمى الثانية، غير أنّها من الناحية الاجتماعية لم تكن بعيدة أبدا عن الأوضاع الاجتماعية المتردّية لحياة الأغلبية من الشعب الجزائري ، ولا عن معاناة الناس من الفقر المدقع ، والحاجة الشديدة التي ازدادت سوء بفعل الحرب، حتّى أصبح همُّ الناس الأول هو الحصول على ما يسدّ الرمق ويحفظ النفس، وقد صور الكاتب ببراعة كبيرة أوجها عديدة من تلك الأوضاع المتردّية، مما يجعل من قرية " تازغا " التي تجري فيها الأحداث نموذجا مصغّرا يمثل معظم القرى والأرياف الجزائرية في تلك الحقبة ، بل ويمثّل المدن أيضا في تلك الظروف الصعبة" . [36]

وهذه رواية جزائرية مكتوبة باللّغة الفرنسيّة صوّرت لنا الأوضاع الاجتماعية ببراعة من معاناة وفقر وحاجة شديدة لحياة الأغلبية من الشعب الجزائري .

[35] نوال بومعزة ، الثورة الجزائرية في الرواية العربية الجزائرية : من الواقعي الى المتخيّل .– دراسة موضوعاتية – https://www.asjp.cerist.dz

[36] أحمد منوّر ، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي ، ص272.

ومن الروايات التي طرحت القضايا الاجتماعية أيضا رواية " غادة أم القرى" للجزائري أحمد رضا حوحو "وتطرح قصّة " غادة أم القرى " قضيّة المرأة وصراعها الاجتماعي من حيث الحبّ والزّواج والحجاب هذا الصراع الذي كانت تعانيه المرأة في البيئة الجزائرية. وتجري حوادث هذه الرواية في الحجاز ويدور موضوعها حول الحجاب وما ينشأ عنه من كبت وحول التقاليد البالية وما تسببه للناس من آلام وشقاء". [37]

عملت هذه الرواية على تصوير المجتمع، كما طرحت أهمّ القضايا الاجتماعية وهي قضيّة المرأة وصراعها من حيث الحبّ والزواج والحجاب.

نذكر أيضا على سبيل المثال رواية "بان الصبح" للأديب والروائي الجزائري عبد الحميد بن هدوقة التي عملت أيضا على تقديم صورا من المجتمع "نشعر في كثير من الأحيان أن الكاتب يتحدّث عن حياتنا اليومية العادية فالبيئة هي العاصمة، بهمومها المختلفة ومشاكلها، ومن بين ذلك مثلا، مشكل المواصلات، والسرقة في الحافلات، والخصومات وفوضى الأطفال المهملين في الساحات والشوارع، إلخ. ثمّ أن الموضوعين الرئيسيين الذين ترتكز عليهما الرواية قريبان منّا بل هما من صميم حياتنا، فصراع الأجيال موضوع حيّ دائما وهام في كلّ الأوقات، إلا أن الأخيرة، الذي يستغرق الفصل الثامن كله، أي أكثر من عشرين صفحة، وتناقش فيه مواضيع مختلفة من بينها، الطبقية، وحرية المرأة ، والجنس ، والثورة واليمين واليسار ، إلخ" .[38]

وكلّ ما قدّمه الكاتب في هذه الرواية من هموم ومشاكل وصراعات ومواضيع مختلفة، ما كان سوى انعكاس لصورة المجتمع الجزائري في فترة السبعينات، وكلّ تلك القضايا والمواضيع مستقاة من حياتنا الاجتماعية.

[37] فضيلة فاطمة دروش ، سوسيولوجيا الأدب والرواية ، ص125.

[38] مصطفى فاسي ، دراسات في الرواية الجزائرية ، ص134، 135.

الفصل الثاني
صورة المجتمع في رواية قلب الإسباني
دراسة تطبيقية

المبحث الأول : ملخص الرواية

المبحث الثاني : دراسة المفهوم الاجتماعي في عتبة قلب الإسباني

المبحث الثالث: الصورة الاجتماعية في رواية " قلب الإسباني " .

-ملخّص الرواية:

"قلب الإسبانيّ" رواية جزائريّة للمؤلفة جميلة طلباوي، حيث جسدت الراوي الذي اضطلع بسرد الأحداث موظفة بذلك مجموعة من الشخصيات من بداية الرواية إلى نهايتها، دون أن يتوفّر فيها عنصر الحوار بين الشخصيات.

– عبد النّور من الشخصيات الرّئيسة لهذه الرواية وبطلها ، جميل الملامح ، طويل ، عيناه خضراوان ورثهما عن جدّته الأمازيغية من أمه اللتان كانتا سببا في مناداة أهل الحيّ و الأقارب له " بالسبليوني"، وكأنّها كانت بمثابة نبوءتهم له بأن سيختار إسبانيا ملاذا له ، أما أخوه أيّوب الذي يكبره بأربع سنوات فهو أيضا من الشخصيات الرئيسة، كثيرا ما ضحّى لأجل عائلته واضطرّ للتضحية بمشواره التعليمي من أجل العمل لتوفير حياة كريمة لأمّه وأخواته وتمكين أخيه عبد النور من إكمال دراسته لتحقيق حلمه، حتّى في زواجه ضحّى من أجل أخيه ، فبدل أن يقضي وقته مع زوجته وابنه كان يقضيه في البحث عن أخيه حينما تغيب أخباره فلم يكن له من أمره إلا أن سافر إلى إسبانيا فيسافر بحثا عنه.

-خالتي " أمّ العيد " والدة عبد النور و أيوب والعايشة ومبروكة و سعدية عانت كثيرا مع حماتها التي هي جدّتهم " أمّا ستّي" ، هذه الجدّة كانت تقسوا عليها في حالات كثيرة خاصّة في فترة حملها لم تكن تعيرها أيّ اهتمام بسبب إنجابها للبنات ، كما أنّها حرّضت ابنها " أبّا هدّي "كي لا يخضع لرغبات زوجته ، لكن خالتي " أم العيد "كانت صابرة و متحمّلة ، مؤمنة بفكرة أن كبير العائلة يجب احترامه ، خالتي " أمّ العيد " أرادت حورية جارتها عروسا لابنها عبد النور وكانت كلّما تفتح معه الموضوع يبتسم و يضحك ساخرا من الموضوع ، وكانت أمّه تظنّ في ابتسامته تلك موافقة على رغبتها ، إلا أن سمعت بزواجه من الطبيبة الإسبانية صوفيا بعد أن هاجر إلى إسبانيا واستقرّ هناك ، لتصاب بعدها بخيبة أمل كبيرة .

صوفيا طبيبة إسبانيّة كانت تجمعها علاقة صداقة بعبد النور بعد أن التقيا صدفة بأحد مطاعم مدريد، وسرعان ما تطوّرت هذه العلاقة مع الوقت لتتحوّل إلى علاقة حبّ ثمّ زواج ، كانت صوفيا

حمامة جريحة قبل أن تتعرّف عليه بسبب رجل علّقها به و قدّم لها وعود كاذبة و غادر في سبيله تاركا إيّاها في انتظاره ، إلى أن تعرّفت بعبد النور الذي وجدت فيه جزيرة سلام كانت تفتقدها .

كلّ الشخصيات في هذه الرواية سواء كانت شخصيات رئيسة أم ثانوية لها جانب مؤلم من حياتها .

تدور أحداث هذه الرواية في مكانين اثنين، المكان الأول وهو مدينة بشّار ، والمكان الثاني إسبانيا في قلب مدريد بالضّبط .

تذكر لنا الرّوائية زمنين اثنين، زمن ماض وزمن حاضر، بحيث ترصد لنا بعض التحوّلات والتطوّرات التي حصلت مع الوقت ، كزمن لم يكن يتوفّر فيه الهواتف الذكيّة و الإنترنت ثمّ ظهورها بسبب التطوّر الحاصل ، وأيضا زمن كان سكّان الحيّ يرتدون فيه فقط الألبسة التقليدية "كالحايك " عند النساء وغيره و" الجلابة " عند الرجال ، لكن مع الوقت تخلّو عن مثل هذه الألبسة واستبدلوها بأخرى حديثة .

عبد النور دائما ما كان يتراءى له الفردوس المفقود وراء البحر ، وكان الابتعاد عن المجتمع الذي نشأ فيه حلم يراوده منذ الصغر ، فاختار الهجرة إلى إسبانيا والاستقرار فيها بعد أن أكمل تخصّصه في دراسة الصيدلة، فكان من حظّه أن وجد عملا في مخبر لصناعة الأدوية ، شاءت الأقدار أن يتعرّض في يوم من الأيّام إلى أزمة قلبيّة، استدعت دخوله المستشفى ، لكنّ المسألة لم تتوقّف هنا ، بعد صدور التقارير الطبيّة بأن لا أمل له في الشفاء ، حاولت صديقته الطبيبة الإسبانية صوفيا القيام بكلّ مجهوداتها لإخراجه من تلك الحالة ، فسجّلته في برنامج طبّي لزراعة القلب في أكبر المستشفيات بمدريد ، الأمر الذي أدى إلى استئصال قلبه العربيّ واستبداله بقلب إسبانيّ لرجل عرف معنى العطاء فقرّر التبرّع بأعضائه بعد أن يموت فكان قلبه الأندلسيّ من حظّ عبد النّور .

تتناول الروائية موضوعا مهمّا في روايتها ، ألا وهو الهجرة سواء كانت الشرعية أم غير الشرعية وتقول بأنّ جيلا كاملا يريد الهروب من البلاد بحثا عن هناك أي وراء البحر ، فهي تنقل لنا واقع المجتمع الجزائري اليوم .

عكست الروائية في هذه الرواية الكثير من خصائص المجتمع الجزائري من عادات و تقاليد ومعتقدات و مشاكل اجتماعية ...إلخ .[39]

-دراسة المفهوم الاجتماعي في عتبة قلب الإسباني :

القلب عضو أساسيّ من أعضاء جسم الإنسان، حجمه بقبضة اليد ويتموضع في منتصف الصدر، وقد جاءت لفظة القلب في القرآن الكريم)في حالات الإفراد والتثنية والجمع أكثر من مائة وثلاثين مرّة إلاّ أنه لم يقصد بها مطلقا الدلالة على القلب بمعناه التشريحي الطبّي، ولكن قصد بها التعبير عن جهاز إدراكي معرفيّ بالغ التعقيد له وظائف متشعبة ومتعددة ومتداخلة الى حدّ بعيد جدّا، وركّز في تأملاته على وظيفتين من وظائفه هما : الإدراك والمعرفة والعلم ، الإيمان وما يتصل به من عاطفة ووجدان وإرادة [40](، ومن الآيات التي وردت فيها لفظة القلب، قال الله عز وجل : }ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب{ .[41*]

وقوله تعالى: {الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب}.[42*]

وقد وردت لفظة القلب أيضا في الحديث النبوي الشريف "حدثنا أبو نعيم ، قال : زكريا عن عامر قال : سمعت النعمان بن بشير يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول : (الحلال بيّن والحرام بيّن ، وبينهما مشبهات ، لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه

[39] جميلة طلباوي ، قلب الإسباني ، منشورات الوطن اليوم ، الجزائر ، 2018 م

[40] سيّد محمد ساداتي الشنقيطي ، القلب في القرآن ، دار عالم الكتب ، الرياض ، 1993 م ، ص 17 ، 18 ، (بتصرف) .

[41*]سورة آل عمران ، الآية 08 .

[42*]سورة الرعد ، الآية 28 .

، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)" . [43]

كما نجد لفظة القلب أيضا في الشعر حيث يقول الشاعر خالد بن سعود الحليبي :

" قل لي بِرَبّكَ هل أشجاكَ ما صَنَعَتْ

كَفُّ الخريفِ ، و نابٌ غادِرٌ ضَا رِ

أمْ أَنّ قَلْبَكَ مِثْلُ القومِ – غَيَّرَهُ

لفحُ الكلامِ ، ونَفْخُ الغَدْرِ في النّارِ

إنِّي أُعِيذُكَ أن تنسى مودَّتَنا

فَتُسْلِمَ القَلْبَ و الذِّكْرى لِمِنْشَارِ

موت الحبيبِ لَهُ صَبْرٌ يكافِئُهِ

ومَا لِمَوْتِ المَبَادِي قَلْبُ صَبَّارِ"[44].

وهكذا فقد وردت كلمة القلب في كلّ من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف وحتّى في الشعر، ومنها ما هو دالّ على المعنى التشريحي الطبّي ومنها ما هو دالّ على تلك العواطف والأحاسيس، وكذلك منه ما دلّ على الإدراك والمعرفة والعلم والإيمان .

[43] عبد العزيز بن مرزوق الطريفي ، كتاب الإيمان من صحيح البخاري ، https://ebook.univeyes.com

[44] خالد بن سعود الحليبي ، قلبي بين يديك ، مطبوعات الدمام ، المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1993م ، ص 21 .

أمّا اسم الإسباني فقد جاء من إسبانيا و هي دولة أوروبية تقع في جنوب غرب أوروبا، وهي لفظة حديثة ، فإذا عدنا إلى تاريخ هذا الاسم فقد كان يسمّى قديما بالأندلس و ذلك أثناء فترة الحكم الإسلامي في العصور الوسطى .

بلغ العلم تقدّما و تطوّرا مذهلا و كبيرا بحيث أصبح الأطباء بمقدورهم القيام بعمليات زراعة القلب و هي عملية استئصال قلب مريض مصاب بالفشل وزرع مكانه قلب سليم ، و هذا ما حدث)قلب رجل من مجتمع إسبانيّ غربيّ زرع في جسد رجل من مجتمع جزائريّ عربيّ ، الرجل الجزائري و الذي أسمته الروائية عبد النور الذي ولد ونشأ وترعرع في مجتمع جزائري بعاداته وتقاليده وثقافته، كان الابتعاد عن المجتمع الذي نشأ فيه حلم يراوده منذ الصغر و بعد أكمل تخصصه في دراسة الصيدلة كثيرا ما كان يراوده حلم الهجرة إلى ما وراء البحر و كان يتراءى الفردوس المفقود ، فكان من حظّه أن وجد عملا في مجال الصيدلة في المخبر واستقرّ في إسبانيا ، و شاءت الأقدار أن يتعرّض في أحد الأيام إلى أزمة قلبية ممّا استدعى دخوله إلى المستشفى ، فصدر تقرير الطبيب بأن لا أمل له في الشفاء ، لكن المسألة لم تتوقّف هنا ، حيث الطبيبة الإسبانية التي تعرّف عليها أيام وصوله إلى إسبانيا تجنّبت اليأس و بدأت في البحث عن مخرج و حاولت مرارا و تكرارا إلى أن تمكنت من تسجيله في برنامج طبّي لزراعة القلب في أكبر مستشفى بمدريد ، ممّا اضطرّ الأمر إلى استئصال قلبه العربيّ و استبداله بقلب إسبانيّ ، وجاء القلب الإسبانيّ وكأنه يكمّل الملامح الخارجية لعبد النور وأصبح مناداة أهل الحيّ له حقيقة الذين لطالما كانوا ينادونه "بالسبليوني" لامتلاكه عينان خضراوان .[45](

قلب رجل من مجتمع غربيّ كان من حظّ رجل من مجتمع عربيّ ، رغم الصراعات الحضارية والثقافية و الدّينية التي لازالت لحدّ يومنا هذا ما بين الشرق والغرب .

[45] جميلة طلباوي ، قلب الإسباني ، ص 10، 11، 43، 44، 46، 47، 49، 50، 52، 55، 72، 184، (بتصرّف)

أم أنّ الروائية أرادت أن تُليّن قلوب كلّ من المجتمع الغربيّ و العربيّ بخلق هذه القصّة و بالتالي القضاء على هذا الصّراع .

أم أنّها شعرت بالحنين إلى بلاد الأندلس و الحضارة الأندلسية ، فأرادت أن تبعث هذه العلاقة (قلب أندلسيّ زرع في جسد جزائريّ عربيّ) .

– الصورة الاجتماعية في رواية قلب الإسباني :

قلب الإسباني رواية جزائرية للمؤلفة جميلة طلباوي [*46]عملت فيها على تقديم صورة عن المجتمع الجزائري عامّة و المجتمع البشاري على وجه الخصوص ، فقامت برصد قيمه و عاداته و تقاليده ، وتحليل قضاياه ومشاكله من خلال الشخصيات الروائية .

ومن بين المظاهر الاجتماعية التي ذكرتها الروائية و التي رصدت بها الواقع الاجتماعي المعاش :

- جريمة القتل :

مع الأسف ، أصبح مجتمعنا اليوم يشهد انتشارا واسعا و كبيرا لجرائم القتل و لأسباب تافهة، و لا يكاد يخلو من هذه الظاهرة الاجتماعية الخطيرة أيّ مجتمع في العالم ، و تظهر جريمة القتل في قول الروائية "كيف سوّلت له نفسه قتل أخيه و هو الذي أحبّه أكثر من نفسه ؟ سؤال زعزع أركان روحه وهو وحيد أمام هول الفاجعة يحاول نفخ الروح في الجسد المسجَّى ، جسد عربيّ بقلب إسبانيّ . [47]"

ولقد حرّم الله سبحانه وتعالى قتل النفس ، فيقول عزّ وجلّ »وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا »[*48]

[*46]جميلة طلباوي مذيعة وكاتبة جزائرية من مواليد 1969 بشار في أقصى الجنوب الغربي الجزائري، متحصلة على شهادة مهندسة دولة في الميكانيك بناء حراري من جامعة بشار 1995 .

[47] الرواية، ص 10 .

[*48]سورة الإسراء ، الآية 33 .

ونجد في القرآن الكريم أيضا قوله تعالى : مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا »*[49]

ومن هنا وجب إعادة النظر في العوامل المؤدية لجرائم القتل ومكافحتها والحدّ منها في أسرع وقت ممكن لأنها أصبحت لا تعرف التراجع .

- المعتقدات الشعبيّة :

وهي بعض الأفكار والسلوكيات الموروثة التي اكتسحت عقول الناس وسيطرت على قلوبهم، فيؤمنون بها إيمانا تامّا ولا يخضعون للشكّ فيها، بغضّ النظر عن صحتها وخطئها، ورسخت في الوعي الشعبيّ وأصبحت جزءا هاما في حياتهم فإمّا تشعرهم بالتفاؤل والفرح أو تشعرهم بالتشاؤم والخوف .

وفي الرواية تقيّد خالتي امّ العيد وبعض نسوة الحيّ مجموعة من المعتقدات الشعبيّة منها :

أ/ حليب المرأة السوداء :

كان في اعتقادهنّ أن حليب المرأة السوداء فيه البركة و بإمكانه معالج الكثير من الأمراض ، فكانوا يلجؤون للخادمة طامو المرأة السوداء لإرضاع أبناءهم علّهم يجدون الشفاء لأمراضهم ويكمن ذلك في : "الجارة العجوز خالتي فاطنة أكّدت للنسوة المجتمعات في بيتهم لزيارة خالتي أم العيد والاطمئنان على ولديها بأن حليب المرأة السوداء أسرار كثيرة ، فيوم أصيب ابنها في عينه التي اخترقها جريد نخلة عندما كان يقطف التّمر من عراجينها ، لم يسترجع عافيته إلاّ بعد أن أخذته لخادمة الزّاوية كانت ترضع

*[49]سورة المائدة ، الآية 32 .

صغيرها ، سكبت بضع قطرات من حليبها في عينه ، وما ان حلّ المساء حتّى بدأ الاحمرار يزول عن العين المريضة وشيئا فشيئا بدأت تستعيد صفاءها وعافيتها" .[50]

أيوب هو الآخر ابن خالتي أم العيد استفاد من حليبها أيضا حيث "مازال يذكر أيوب حديث والدته عن الخادمة طامو وإرضاعها له، وكيف أنّها أخبرت الجدّة أمّا ستّي برغبتها في أخذ ابنها إلى الزاوية لعلّ حليب الخادمة يساعده ليشتدّ عوده و تقوى بنيته".[51]

ب/ دسّ اليد في التراب أثناء فترة الوحم :

كانت النساء الحوامل في الحيّ تفعلن مثل الجدّات قديما عندما تشتهي شيء ما وهي في فترة الوحم ولا تستطيع الحصول عليه تضع يديها على التراب لكي لا يظهر أثر الوحم على جسد المولود، ونشهد ذلك في "أمّا خالتي أمّ العيد فكانت تفعل مثل الجدّات قديما، كلّما اشتهت الواحدة منهنّ شيئا في فترة الوحم واستحال عليها الحصول عليه، وضعت يديها على التراب لعل الأرض تبتلع أمنيتها فلا يظهر أثر الوحم على جسد المولود" .[52]

ج/ المرأة هي المسؤولة عن تحديد جنس المولود:

الروائية ترصد لنا مرحلة كان يعتقد فيها المجتمع بأنّ المرأة هي المسؤولة عن جنس المولود، فإذا أنجبت ذكرا شعروا بالفرح و السرور لذلك و إذا أنجبت الإناث إمّا تتعرّض للطلاق أو تهدّد به ولا يعيرون حملها اهتماما خوفا من إنجاب الإناث، "في مجتمع يخالف العلم ويعتقد بأنّ المرأة هي المسؤولة عن جنس المولود فكانت تناديه " العوينة " . "[53]

[50] الرواية ، ص 11 ، 12 .

[51] المصدر نفسه ، ص 12 .

[52] المصدر نفسه، ص 18 .

[53] الرواية، ص 21 .

وتقول الروائية في سياق أخر "اجتهدت أمّا ستي في عقاب خالتي أمّ العيد التي لم تنجب الذكر، فنصّبت نفسها رقيبا على ابنها "أبّا هدّي" كي لا يعير حملها اهتماما" . [54]

د/ الإيمان بضريح الوليّ الصالح و تمائم الطالب:

ضريح الوليّ و الطالب السّي أحمد كان مقصد العائلات في الرواية، حين لا تستطيع النسوة إنجاب الذكور ، وعند مرض أبناءهم ، فكانت الجدّة "أمّا ستّي" كثيرا ما تلجأ لزيارة الطالب السّي أحمد ، ونلتمس ذلك "وحتّى عندما عادت "أمّا ستّي" من زيارتها للطالب السي أحمد ذات مساء وهي تحمل تيمة و تأمرها بأن تعلّقها لعلّها تنجب الذكر ، فقد كلفتها تلك التميمة "عكّة" كاملة أهدتها للطالب السي أحمد" . [55]

وحتّى في حالات المرض كانت تلجأ إليه "أمّا الجدّة "أمّا ستّي" فلم تعد تغادر البيت وظلّت بقرب الصّغيرين تقدّم لهما وصفات العلاج التي توصّل إليها الطالب السي أحمد الذي لم يبخل عليها بتميمتين، علّقت على صدر كلّ منهما تميمة وُضعت في قطعة جلد مربوطة بخيط" .[56]

لم يكن إيمانهم فقط بالطالب السي أحمد، بل حتّى بضريح الوليّ الصالح هو كذلك كان مقصدهم كلّما همّ بأحدهم أمر أو استعصى عليه "يومها فقد توازنه وتهاوى مغشيا عليه. نقل إلى الاستعجالات وطلب الطبيب التحاليل الطبية اللّازمة ، لكنّ والدته أصرّت على أخذه لزيارة ضريح الولي الصالح سيدي أحمد بن بوزيان في القنادسة" . [57]

وحقيقة أنّه مازال بعض الناس يعتقدون بالأضرحة خاصّة و أنّ الجزائر تعرف بكثرة الأضرحة المنتشرة في جميع أنحائها، و حتّى تمائم السي الطالب، فيلجؤون إليهم في كثير من حالات اليأس والبحث عن

[54] المصدر نفسه ، ص 18 .

[55] المصدر نفسه، ص 20 .

[56] المصدر نفسه ، ص 26 .

[57] الرواية ، ص 189 .

عريس ، والمرض ، والعجز عن إنجاب الأطفال وغيرها من الأسباب ، بالرّغم من تحريم الدّين لمثل هذه الأشياء واعتبارها بدعة ، وقديما كان اتباع هذه الأشياء بسبب الجهل ، أمّا الآن فقد تطوّر العلم بنسبة كبيرة ونحن على قدر كبير من المعرفة ، إذا متى سيستيقظ مجتمعنا من غفلته هذه ؟

- الفقر :

تعدّ ظاهرة الفقر من أبرز المشاكل التي تعاني منها مختلف الدول والمجتمعات في العالم ككلّ ، ومن بينها المجتمع الجزائري .

فقد عكست المؤلفة ظاهرة الفقر الاجتماعية في روايتها ، فقد كان للخادمة طامو وأهلها معاناتهم الخاصّة مع الفقر والجوع والفاقة ، ويتجلّى ذلك "وعندما كبر وصار شابا بدأ يدرك أنّ للخادمة طامو معاناتها أيضا ، ولها ذكرياتها الأليمة ، ولعلّ قصّة خروج والدتها الخادمة " الشّهبة " من القصر البعيد الذي يقيم فيه أهلها ، قصّة محزنة حقًّا . ذكرت له كيف أنّ أهلها كانوا يعانون من الجوع والفاقة، فاتخذ والداها قرارا بإرسالها إلى خالتها التي كانت تخدم الزّاوية ".[58]

وتضيف الروائية "شعرها أجعد منكوش موبوء بالقمل ، كانت تتضوّع جوعا ، ولم يقدّم لها زوج خالتها يومها سوى بضع تمرات" .[59]

الذي لفت انتباهي في المجتمع أنّه حينما يُذكر الفقر فالجميع يتبادر في ذهنه "فقر المال" ناسيا أنه لا يكمن في المال فقط، فقد يفتقر الإنسان إلى الأخلاق والآداب والعلم ...إلخ ، والمال ليس مصدر السعادة كما أنّ الفقر ليس عائقا أمام السعادة ، ولو كان الجميع أغنياء لما احتاج الناس لبعضهم البعض ولما خدم أحدهم الآخر ، وبالتالي الحكمة من وجود الفقر والغنى وهو إحداث توازن في المجتمع .

[58] المصدر نفسه، ص 14 .

[59] الرواية، ص 15 .

- زواج القاصرات :

تطرح المؤلفة في الرواية قضيّة مهمّة جدّا من قضايا المجتمع ألا وهي زواج القاصرات، والذي يُعرف بزواج الفتيات دون سنّ البلوغ (18سنة) ، وهذه الظاهرة كانت منتشرة في الجزائر، خاصة في الماضي وبنسبة كبيرة جدّا ، أمّا الآن لا زلنا نشهد هذه الظاهرة لكن بنسبة قليلة ، ونجد في الرواية شخصية دُفِنت طفولتها وتزوّجت في سنّ مبكّرة ، تقول الروائية في هذا الصدد : "جاءت الخادمة الشهبة من قصرها البعيد لتلقى قدرها في بيت خالتها التي اتّخذت قرارا بتزويجها بابنها الأصمّ والأبكم وأن تنسى طفولتها" .[60]

الزّواج أوّلا وقبل كلّ شيء مسؤولية، فكيف لفتيات أن يستوعبن حجم تلك المسؤولية وتحمّلها وهنّ لم يشبعن بعد من عيش طفولتهنّ ؟

ومن هنا يجب إعادة النّظر حول هذه الظاهرة "فقضيّة زواج القصّر ، وعلى وجه الخصوص زواج القاصرات من رجال يكبرنهنّ بسنّ كثير ، أصبحت اليوم تشغل الرأي العام على أنّها ظاهرة وجريمة بحقّ الانسانية، حيث رفضتها العديد من الاتفاقيات الدولية ، وأكّدت على إدانة زواج الأطفال بدءً من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام 1948م ، ووصفته بأنه ممارسة ضارة تترجم كلّ أشكال الاستغلال لهذا القاصر وحقّه في عيش الطفولة والمراهقة إلى غاية تمامه لسن 18 سنة كاملة ، وهو الأمر الذي وافقت عليه أغلب القوانين الدولية والداخلية" .[61]

من الضروريّ أن تتوفّر قواعد وقوانين تَحُدّ من انتشار هذه الظاهرة، والأهمّ أن يكون لها دور في حماية القصّر وحقّه في عيش طفولته .

[60] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[61] لمين لبنة ، زواج القصر بين المفهوم القانوني والمصلحة المعتبرة شرعا دراسة على ضوء تعديل قانون الأسرة والتطبيق القضائي له . https://www.asjp.cerist.dz

- العنف الذكوري ضدّ المرأة في الأسرة :

العنف ضدّ المرأة ظاهرة منتشرة في جميع المجتمعات العربية وحتّى الأجنبية ، ومجتمعنا الجزائري من بين المجتمعات التي لم تسلم من هذه الظاهرة، والعنف ضدّ المرأة من قِبلِ الزوج داخل الأسرة أحد أكثر أشكال العنف شيوعا في العالم ، وقامت المؤلفة بعكس هذا النوع من العنف ضدّ المرأة في الرواية ، والذي تعرّضت له الخادمة الشهبة من قبل زوجها ، فتقول الروائية "وفي مرّات أخرى عندما يكون متعبا ويتحوّل إلى ثور هائج ، كان يضربها ضربا مبرحا ، فتهرب منه لتبيت في زريبة الماعز يملكها أحد أعيان المدينة يقوم زوجها بحراستها، تقضي ليلتها باكية آلام جسدها وجراح روحها، وحدتها وبؤسها" .[62]

وهذا العنف ضدّ المرأة من قبل الزّوج في الرواية ما هو إلّا انعكاس لواقع المرأة ومعاناتها في المجتمع الجزائري، ولعلّ أهمّ سبب للعنف ضدّ المرأة خاصّة في المجتمع العربيّ هو انتشار الممارسات العرفية أو التقليدية على نطاق واسع في المجتمع.

وكيف للمرأة أن تلقى العنف داخل الأسرة وهي عمود البيت وأساسه وقوامه وركنه المتين ومنبع الحنان والمربّية والمعلّمة والرّاعية والصّابرة ....، والتي تعدّ أساس التنمية المستدامة، وهي التي أعطاها الإسلام منزلة عظيمة والتي كانت من ضمن الوصايا السبع للرسول صلّى الله عليه وسلّم في خطبة حجّة الوداع الذي أوصى عليه الصلاة والسلام باحترامها وحسن معاملتها .

"و جريمة العنف ضدّ المرأة هي من بين الجرائم القديمة المستحدثة خاصّة في ظلّ التعديل الجديد رقم 15/ 19 الذي قام به المشروع الجزائري والذي جرّم تعنيف المرأة وسلط عليه مجموعة من العقوبات من أجل التصدّي لها ومواجهتها ، كونها ظاهرة إجرامية خطيرة تلحق آثارها وأخطارها الأفراد بصفة خاصّة والمجتمع بصفة عامّة ، لذلك كان لزاما تضييق الخناق على الجناة بتشديد العقوبات ، فضلا

[62] الرواية ، ص 16 .

على البحث عن وسائل وقاية وحماية من الجريمة قبل وقوعها وذلك بتضافر جهود مختلف المؤسسات والهيئات في الدولة (أمن ، قضاء، إعلام ...) لمحاربتها" .[63]

وللمرأة حقوقها الخاصّة في أن تعيش بسلام وأن تكون في مأمن من التعرّض لأيّ عنف سواء كان مادّي أو معنوي، وأين الالتزام بوصيّة الرسول عليه الصّلاة والسلام حينما قال "رفقا بالقوارير" أي النساء ، شبههم بالقارورة و القارورة حينما تنكسر لا تتصلّح فهكذا هو خاطر النساء فرفقا بهم.

- ظلم المرأة :

تتعرّض المرأة للظّلم الاجتماعي كثيرا ، خاصة في المجتمعات العربية نتيجة التقاليد والمعتقدات البالية والأعراف ، فتصبح المرأة مظلومة وتقع ضحيّة في المجتمع دون أن يكون لها أيّ ذنب .

ومن بين الأسباب التي تظلم فيها المرأة هو اعتقادهم بأنّها السبب في تحديد جنس المولود وأنّها السبب في إنجابها للبنات وتتعرّض للظلم لعدم إنجابها الذكور، وخالتي أمّ العيد عانت كثيرا من هذا الجانب وكانت تتعرض للكلام الجارح من طرف الجدّة أمّا ستّي ، وحتى أنها لم تُعِر حملها اهتماما فلم تكن تنال ما تشتهيه وحرّضت ابنها بأن لا يخضع لرغباتها ، تقول الروائية : »اجتهدت الجدّة أمّا ستّي في عقاب خالتي أمّ العيد التي لم تنجب الذكر ، فنصّبت نفسها رقيبا على ابنها "أبّا هدّي" كي لا يعير حملها اهتماما [64]«، وتضيف الروائية بأنّ فرحة خالتي أم العيد بإنجابها للذكر بعد طول انتظار كانت غامرة)والدتهم خالتي أمّ العيد أدركت قيمة أن تلد ذكرا بعد أن كانت لا تنجب إلا البنات، وبعد طول انتظار لذا كانت فرحتها غامرة وهي تضع الذّكر الذي سجّل انتصارها على القهر والظّلم، قدوم أيّوب أنساها أوجاعها وكلام الجدّة "أمّا ستّي" الجارح بأنها عاجزة عن إنجاب الذكر ، أنساها قسوة هذه الجدّة وهي تحرمها من الاستمتاع بلذّة الوحم ، كثيرا ما اشتهت أطعمة وهي حبلى حرمتها

[63] مصطفى إيمان ، العنف ضدّ الزوجة في المجال الأسري ، https://www.asjp.cerist.dz

[64] الرواية ، ص 18 .

منها وحرّضت ابنها الآ ينجرف وراء رغباتها فيحضر لها كلّ ما اشتهت ، فلن تمنحه في النهاية سوى أنثى) . [65]

وقضيّة ظلم المرأة بسبب إنجاب الأنثى وعدم تقبّل هذه الأخيرة كان شائعا في القديم خاصّة في الجاهليّة إذْ وصل بهم الأمر إلى وأد البنات أي دفنها حيّة، يقول الله عزّ وجلّ في كتابه: {وَإِذَا الْمَوْءُودَة سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْب قُتِلَتْ } .[66*]

الحمد لله على نعمة الإسلام هذا الدّين الذي حرّم مثل هذه السلوكيات وأعطى للمرأة حقوقها وأعطاها منزلة عظيمة، يستوقفني الآن قول الرسول عليه الصّلاة والسّلام عن البنات على أنّهنّ المؤنسات الغاليات.

- وصايا وإرشادات الوالدين للأبناء :

الأسرة كمؤسسة اجتماعية تلعب دورا هاما في تربية الطفل وإعداده وتعليمه، ويكتسب منها الطفل مجموعة من السلوكيات والقيم الأخلاقية وإذا ما اعتدى على القواعد الاجتماعية والسلوكية يقدّم له الوالدين مجموعة من الوصايا والنصائح والارشادات والتوجيهات التي بدورها تُقَوّمُ سلوكه و تُوجّهه إلى الطريق السليم .

وفي الرواية نجد أنّ بنات خالتي أمّ العيد العايشة ومبروكة ومسعودة تمتعضن من الجدّة حين تؤذيهنّ بكلامها فتتدخل خالتي أمّ العيد لتقوم بإرشادهنّ وتوصيتهنّ فتقول الروائية :"لكنّ خالتي أمّ العيد

[65] المصدر نفسه ، ص 17 ، (بتصرّف) .

[66*] سورة التكوير ، الآية 8- 9 .

كانت تزجرهنّ وتذكّرهنّ بأن كبير العائلة حتى ولو أخطأ وجب احترامه ، وتذكّرهن بالمثل القائل: "اللّي غاب كبيره الهمّ تدبيره"" .[67]

لكن ما نشهده اليوم من انحلال أخلاقي كبير بين الأفراد في المجتمعات يجعلنا نبحث عن السبب الأول الذي أدّى إلى ذلك ، فهل كان سببه الأسرة ؟ كونها المؤسسة التربوية الأولى التي تستقبل المولود منذ ولادته ، "فالطفل بفطرته يحاكي ويقلّد والديه في العادات والطبائع والسلوكات فإن كان الآباء في مستوى هذه السلوكات والطبائع فحتما ستترك أثرا إيجابيا على شخصية الطفل"[68]، فقد تكون الأسرة مصدرا لاحترام قواعد وقوانين المجتمع وقد تكون المصدر الذي يخترق تلك القواعد ممّا تلعب دور في نقل تلك السلوكات إلى الأبناء .

- الأمثال الشعبية :

تعدّ الأمثال الشعبية من أكثر أنماط التعبير انتشارا وشيوعا في المجتمع، إذْ يتم التداول بها من جيل إلى آخر، وتلعب دور في التأثير على الوعي الثقافي للمجتمع، كما أنّها تلامس حياة النّاس وتجاربهم وخبراتهم . ونجد ضرب المثل الشعبي على لسان بعض الشخصيات في الرواية، ومن هذه الأمثال الشعبيّة التي ذكرت في الرواية نجد :)"اللّي غاب كبيره الهمّ تدبيره" ، " اللّي يصبر ينال" ، "العين بصيرة واليد قصيرة" ، "اللّي ماعندها رجال تكوي صدرها بالحجار" ، "الخيمة يشدوها أوتادها ،والمرا يشدّوها أولادها") .[69]

فكان لهذه الأمثال الشعبية دور كبير في ترسيخ القيم الأخلاقية بين أفراد المجتمع كما أنّها تعدّل من سلوكياتهم وتنبذ فيهم السلوكات السلبية فيهم .

---

[67] الرواية ، ص 21 .

[68] شيخ علي ، مؤسسات التنشئة الاجتماعية وإنتاج الجريمة في الوسط الاجتماعي https://www.asjp.cerist.dz

[69] الرواية ، ص 21 ، 28 ، 35 ، 74 ، (بتصرّف) .

- توليد النساء في البيوت :

القابلة هي المرأة التي تقوم بتوليد النساء في البيوت، وهذه المهنة كانت شائعة قديما ولا تتطلب دراسة وإنما تتوارثها بالممارسة من أمّها أو جدّتها، ولازالت هذه المهنة متواجدة لكن على نطاق ضيّق وذلك بسبب التطوّر الحاصل وظهور المستشفيات .

"أمّا عقيدة" هي قابلة الحيّ الشعبيّ فعلى يديها ولّدت أجيال من سكّان الحيّ ، ""أمّا عقيدة" لم تتعلّم ولم تتخرّج من جامعة لكنّها تقوم بتطبيب النساء وبتوليدهنّ ، فعلى يديها ولدت أجيال من سكان الحيّ ".[70]

فلم يكن للطبيب أو الطبيبة دور في توليد النساء قديما ، فقد كانت القابلة هي من تقوم بذلك.

- الأمراض المزمنة :

وتُعرّف على أنها حالة مرضية دائمة او طويلة الأمد وهي كثيرة مثل مرض السرطان بأنواعه، وأمراض القلب وارتفاع ضغط الدّم والغدّة الدرقية وداء السكري ....إلخ .

عبد النّور الشّخصية الرئيسة في الرواية عانى كثيرا مع مرض السكري ، "وبعد ان قرّرت صوفيا التخلّي عنه ، عاد ممتلئا بالسكر ليس عن حلاوة مذاق وإنما بمرض مزمن راح ينخر جسده " .[71]

بعد أن كنّا نسمع انّ داء السكري ينتقل فقط بسبب العامل الوراثي فقط وذلك قديما ، أصبحنا نسمع أنه يصيب الانسان حتّى من غير انتقال المرض إليه وراثيا ، ويرجّح المختصون السبب الرئيسي وراء ذلك هو سوء التغذية ، إذاً بإمكاننا القول أن الإنسان هو سبب نفسه إذا تناول أطعمة غير

[70] المصدر نفسه ، ص 19 .

[71] الرواية ، ص 55 .

صحيّة كالأطعمة التي فيها نسبة الدّهون مرتفعة والإكثار من الحلويات والابتعاد عن الأنشطة الرياضية ...، على الإنسان أن يحافظ على صحته مهما كلّفه الأمر فالعقل السليم في الجسم السليم.

- العلاج :

لابدّ للإنسان المريض أن يأخذ بالأسباب والذهاب للعلاج فور تشخيص مرضه لكي لا يتفاقم عليه المرض ولاسترجاع صحته بسرعة ، فالصحّة تاج على رؤوس الأصحّاء ، بعد أن كانت الأمّهات في زقاق عمّي سالم لا تعرف علاجا لأبنائهم سوى الطالب السي أحمد ، مع الوقت و مع التطوّر اهْتَدوا إلى فكرة زيارة الطبيب ، طبيب إسباني كانت له عيادة في الحيّ الشعبيّ فلجؤوا إليه للاستعانة بخبرته الطبية »وصارت العائلات في زقاق عمّي سالم تقصده لعلاج أطفالها المرضى ، وبدأت الأمّهات في تعلّم كيفية تقديم الأدوية الطبية للأطفال بدلا من غلي الأعشاب [72] «. على الإنسان أن يحافظ على صحته فالوقاية خير من العلاج .

- الأمل والتفاؤل :

الأمل والتفاؤل شعوران إيجابيان على الإنسان أن يتمسّك بهما ، فهما اللّذان يمنحان الانسان القوّة والعزيمة للاستمرار وبهما تطمئن نفسه وتبقى نظرته للحياة إيجابية ، وبهما يصل الإنسان إلى طموحاته ويكافح لنيل مراده ويرى فقط الجانب المشرق في هذه الحياة ، وعلى الإنسان أن يتسلح بالأمل و التفاؤل وبالصبر والإيمان وان يبتعد عن الأفكار السلبية واليأس مهما كانت الصعاب "فعادة مايكون آخر مفتاح من مجموعة المفاتيح هو المناسب لفتح الباب" ، وإذا بدأ يتخلل اليأس داخل الإنسان عليه أن يتذكر قول الله عزّ وجلّ : } وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} . [73*]

[72] المصدر نفسه ، ص 34 .

[73*] سورة يوسف ، الآية 87 .

هذا ما فعلته الطبيبة الإسبانية صوفيا التي كانت تجمعها علاقة صداقة بعبد النور وسرعان ما تطوّرت هذه العلاقة مع الوقت ، الذي تعرض لأزمة قلبية وقال الطبيب بأن لا أمل له في الشفاء ، تمسّكت بالأمل ولم تيأس إلى أن تمكّنت من إنقاذه "وبعد أن صدر تقرير الطبيب بأن لا أمل لعبد النور في الشفاء ، لم تيأس وبدأت في البحث الحثيث عن مخرج ، إلى أن تمكّنت من تسجيله في برنامج طبّي لزراعة القلب في أكبر مستشفى في مدريد ، تكاليف العملية كانت باهظة الثمن، والمغامرة كانت كبيرة جدا ، لكن صوفيا ظلّت متمسكة بالأمل ، تردّد على مسمع عبد النور أن عليه أن يقاوم ، لن يموت ، أمامه فرصة للحياة" . [74]

- البطالة:

تعتبر ظاهرة البطالة من أبرز المشاكل الاجتماعية التي تهدّد استقرار المجتمعات وتؤثر عليها بشكل سلبي، فقد تدفع بعض البطالين إلى القيام بأعمال غير شرعية لكسب قوت يومهم، وتزرع داخلهم اليأس والإحباط النفسي.

تنقل لنا المؤلفة الواقع الاجتماعي المرير لهذه الظاهرة وتقول لنا أنّ جيلا كاملا دائما ما تتردّد في أذهانهم فكرة "هنا ما كان والو"،)مرارة هذا الواقع أدركها أيوب وتجرّعها مع جيله وبدأت تكبر وتتوغّل بعبارة . "هنا ماكان والو" ، العبارة جعلت جيلا كاملا يرغب في الابتعاد عن "هنا" بحثا عن "هنالك" في الضفّة الأخرى وراء البحر) . [75]

وهيبة هي الأخرى عانت كذلك مع مشكل البطالة تقول الروائية : "وهيبة هي الأخرى كذلك لم تتمكّن من إيجاد عمل ووهيبة اختارت أن تكمل دراستها بعد حصولها على شهادة البكالوريا وأن

[74] الرواية ، ص 50 .

[75] الرواية ، ص 43 ، (بتصرّف) .

تتخصّص في علم الاجتماع ، لكنّها منذ تخرّجت لم تتمكّن من الحصول على وظيفة ممّا جعلها تدخل في حالة إحباط أبانت عن فروقات كبيرة بينها وبين حورية" .[76]

وهذه حقيقة واقع الشباب اليوم يؤمن بأنّ لا شيء هنا خاصّة مع انتشار البطالة والبطّالين ممّا يدفعهم ذلك إلى الهجرة غير الشرعية والتي أصبحنا نسمع عنها يومياً وبشكل رهيب، لكن بعض شباب اليوم يريد الابتعاد عن هنا بحثا عن هناك أي وراء البحر وهو في بلاده لم يستطع النجاة ، فكيف له أن ينجو في بلد متطوّر، غريب لا يرحم ؟ بعض الشباب اليوم ليس لديه طموح ولا عزيمة ولا إرادة ولا يكلّف عناء نفسه للبحث عن عمل، هنا هل المشكلة فيه أم في البلاد التي لا توفّر فرص العمل للشباب .

ولنفتح المجال قليلا للحديث عن منحة البطالة التي دفعت الكثير من الطلبة هذه السنة للتخلّي عن الدراسة في سبيل الحصول عليها، إذا هل هؤلاء طلبة علم حقاً ؟ تَخلّو عن طلب العلم لطلب كم دينار ! حقاً مؤسف، أحيانا يتبادر في ذهني هل كان التعليم المجاني في الجزائر هو السبب ؟ ماذا لو كان الطالب يدفع مقابل أن يدرس هل كان الوضع مختلفا عن الذي نشهده الآن ؟ ربما كان قد أحسّ بقيمته أكثر .

- التضحية الأسرية :

التضحية في الأسرة هي حينما يضحّي أحد أفرادها بالتخلّي عن مصلحته الذاتية لإسعاد البقية أو أحد الأفراد، وقد يكون أيضا التخلّي عن أحلامك من أجل تمكين أحد أفراد الأسرة من تحقيق أحلامه .

[76] المصدر نفسه ، ص 98 .

هذا ما قام به أيّوب بالذّات اضطرّ للتضحية بمشواره التعليمي واختصاره لإعالة أسرته وتمكين أخوه عبد النور من إكمال دراسته لتحقيق حلمه "ولم يكن يعلم بأنّ في مواصلته لدراسته عزاء لأيوب الذي حُرِمَ من مواصلة تعليمه كي يعمل ويُمكّن عبد النور من إكمال دراسته والتخصص في الصيدلة ، كان عليه أن يعمل ليوفر الحياة الكريمة لأخواته قبل زواجهنّ" .[77]

حورية جارة أيوب هي كذلك ضحّت من أجل عائلتها باختصار مشوارها التعليمي "فرغم ذكائها وتفوّقها في الدراسة إلا أنها قرّرت اختصار مشوارها التعليمي والالتحاق بمعهد تكوين المعلمين لتتكفل بالإنفاق على الأسرة و لتريح والدتها من ماكنة الخياطة خاصّة وأنّ بصرها أخذ يضعف واشتدّت عليها آلام الظّهر" . [78]

التضحية سلوك إيجابي وشيء جميل ويكون أجمل بكثير حينما تتمّ الالتِفاتَةُ للشخص المضحّي وإعطائه الحبّ والاهتمام على قدر تضحيته وأكثر فهو الذي كان السبب في إسعاد الآخر تحقيقه لحلمه وتعزيز علاقة الأسرة ونجاحها .

- الاحتيال العاطفي :

وهو ما يمارسه بعض الرجال أو النساء من عبارات غزل وكلمات عاطفية تكون بداية لطريق صيده ثمين ويكون الضحيّة أحد الأطراف، وهو ما يندرج ضمن الظلم الاجتماعي ممّا يخلّف وراءه أكواما من المشاعر المحطّمة .

[77] الرواية ، ص 72 .

[78] المصدر نفسه ، ص 99 .

وهيبة هي الأخت الصغرى لحورية وقعت ضحيّة بين يديّ رجل سعودي تجرّد من كل مشاعر الإنسانية أقنعها بزواج عرفي ليتركها في الأخير جريحة محطّمة المشاعر "لم تستطع استيعاب قدرتها في تلك اللّحظة على إلغاء عقلها ومحو صورة والدتها وتضحياتها وارتمت في حضن رجل قدّم لها المال وذبح براءتها [79]"، وتضيف الروائية بعد أن تركها »تقف أمام المرآة في بيت فلّة التي قالت لها بعد أن عادت وحيدة جريحة من دبي ، خسرت نفسها والذي ظنّته حبيبا كشف عن وجه الذّئب بمجرّد أن غادرت الوطن" .[80]

رسالة إلى كلّ هؤلاء المحتالين والذين يلعبون بمشاعر الآخرين، كما قالت أحلام مستغانمي "الدنيا تدور ، ثمّ تقف عندك لتفعل بك ما فعلته بغيرك". [81]

- مواقع التواصل الاجتماعي :

هي مواقع إلكترونية اجتماعية على الإنترنت تتيح للأفراد التواصل بينهم، ومن المؤكّد أنّ له إيجابيات وسلبيات فهو سلاح ذو حدّين، وأصبح استخدام هذه المواقع الاجتماعية ضروريّ وبشكل يوميّ لدى الكثير من الشباب، السؤال المطروح هل كانت هذه المواقع نعمة علينا أم نقمة ؟ لا ننكر أنّ لهذه المواقع إيجابيات بحيث تسهّل التواصل الاجتماعي بين الأفراد، وتزيل بينهم الحدود والمسافات ومعرفة أخبار العالم، كما تساهم في تبادل الثقافات واكتشاف المعلومات ...إلخ ، و لنلقي أيضا نظرة على الجانب السلبي ولعلّ أخطرها "الإدمان" حيث يقضي الكثير من الأشخاص معظم أوقاتهم في مواقع التواصل الاجتماعي يوميّا على حساب أوقات العائلة والدراسة والعمل بدون وعي منهم، ممّا يؤثر ذلك على تركيزهم بشكل عام ، وهذا مان شهده اليوم غوص الكثير من الشباب في هواتفهم وحواسيبهم لساعات طويلة يوميّا .

[79] الرواية ، ص 118 .

[80] المصدر نفسه ، ص 121 .

[81] https://www.pinterest.com

وهذا ما نقلته لنا الروائية عبر شخصيّة المهدي "كان يغوص طوال الوقت في هاتفه الجوّال وهو يضع السماعة في أذنيه"[82] ، وتضيف الروائية بقولها :"قد تكون أمّه محقّة عندما تقول له بأنّ الإنترنت مسحت دماغه . مهدي يدرك حقيقة هذا الأمر ، لكنّه لا يملك إلاّ أن يبقى أسيرا لحاسوبه ولهاتفه الجوّال ، لا مفرّ له من سجنه الأزرق" .[83]

أعتقد انّ علينا الأخذ سريعا بنصيحة مخترع أوّل هاتف محمول بالعالم قبل أن تتأزّم الأمور أكثر ممّا هي عليه الآن " أتركوا أجهزتكم وعيشوا حياتكم " .

- موضة ارتداء السراويل الممزقة :

انتشرت كثيرا ظاهرة ارتداء الشباب سراويل الجينز الممزّقة في المجتمعات، ممّا أثارت الجدل، وغرست القلق في نفوس كثير من الأشخاص ، ومن الناس من ينظر إلى هذه الظاهرة على أنّها تمرّد و لا يروق لهم ذلك ومنهم من يراها مواكبة للموضة .

المهدي وصديقه كانوا من بين هؤلاء الذين شاركوا في تفشّي هذه الظاهرة "وقبل أن يلج الزقاق لمح ابنه برفقة شاب غريب عن المنطقة ، أمعن النظر في سروال الجينز الذي كان يلبسه المهدي ممزّقا من ناحية الركبتين ، لاحظ أيضا السلسلة التي كانت تتدلّى من رقبته أخفى امتعاضه وهو يحدّق في سروال رفيقه، كان من الجينز أيضا ، بدا ممزّقا بشكل غريب وفي أماكن كثيرة" .[84]

بالأخير هذه الظاهرة ما هو إلاّ تقليد أعمى للغرب وما هو إلاّ تشويه للهيئة الخارجية للأشخاص الّذين يرتدون مثل هذه الأشياء .

- الخمّاسة :

[82] الرواية ، ص 70 .

[83] المصدر نفسه ، ص 168 .

[84] الرواية ، ص 62 ، 63 .

وهو نظام أشبه بالنظام الإقطاعي ويقوم على استغلال الإنسان لأخيه الإنسان حيث يعمل الفلاح الفقير عند صاحب الأرض الغنيّ ولا ينال من المنتوج سوى الخمس، وهذا النظام كان شائعا كثيرا خاصّة في فترة الاستعمار الفرنسي.

عمّي صالح كان "خمّاس" ولا بدّ أنه عانى كثيرا مع هذا النظام الظالم "كانوا يعرفون عمّي صالح "الخمّاس" ، وفهم الصغار مبكرا بأنّ "الخماسة" هي نوع من العبودية ، يظلّ الخمّاس يتعب ويشقى ويخدم الأرض لتؤتي ثمارها ، ثمّ يأتي المالك ليبيع المحصول ويقبض ثمنه ويزداد ثراءً ولا ينال الخمّاس من كل هذا كمقابل سوى الطعام الذي يأكله أو الملابس التي يلبسها وكوخ الطّين الحقير الذي يعيش فيه مع زوجته" .[85]

لا شكّ أنّ الخمّاس عانى كثيرا مع هذا النظام الذي كان واقعا في المجتمع الجزائري خاصّة في فترة الاستعمار، وكان أوّل من رفع شعار الإنقاذ لهؤلاء الخمّاسين و هو الرئيس الراحل هواري بومدين حينما قال " الأرض لمن يخدمها " .

- الهجرة :

الهجرة ظاهرة اجتماعية منتشرة في العديد من الدّول ، خاصّة الهجرة من الدول العربية إلى الغربية، ولعلّ أبرز العوامل التي أدّت إلى الهجرة تتمثّل في دوافع الطرد في البلد المنشأ ودوافع الجذب والإغراء في البلد المستقبل ، والتناقضات الاجتماعية الواقعة في المجتمع كعلاقة المرأة بالرّجل والعلاقات الأسرية وغيرها ، وكذا شعور بعض الشباب أنّهم مقيّدون ممّا يتولّد داخلهم الرغبة في الهجرة بحثا عن الحريّة

[85] المصدر نفسه، ص 133 ، 134 .

والانفتاح ، وانتشار البطالة ...إلخ ، ومنهم من يهاجر بحثا عن الفردوس المفقود كالشخصية الرئيسة عبد النور "عبد النور تمرّد على الأسرة ، وعلى الأرض الأمّ ، واختار الهجرة إلى إسبانيا" . [86]

ولا شكّ أنّ للهجرة آثار سلبية على المجتمع فمن أبرز سلبياتها وهي خسارة البلد الأصلي للشباب المتفوّقين والموهوبين الذين يتمتّعون بمهارات وطموحات عالية وهذا ما يندرج تحت إطار هجرة الأدمغة .

- الطمع :

الطمع من الصفات المذمومة التي تفسد على الإنسان دينه وخلقه ، ونجد هذه الصفة عند الكثير من أفراد المجتمع و في كثير من الحالات ، ومنه ماتنقله لنا الروائية كطمع الأب في العريس الثريّ وهذه حقيقة واقع المجتمع اليوم ، فنجد بعض الآباء يدفعه الطمع لتزويج ابنته لعريس ثريّ وإن كان ذلك دون موافقة منها ، وهذا ما تعكسه لنا الروائية عبر شخصيّة والد محجوبة "فمن سوء حظّها أن جاء لخطبتها في نفس اليوم السي موسى التاجر الكبير محمّلا بالهدايا الثمينة التي أسالت لعاب والدها فوافق مباشرة حتّى دون أن يستشيرها ، معتقدا بأنّه أدرى بمصلحتها، وكيف له أن يرفض عريسا ثريّا" . [87]

يبقى الطمع من أقبح الصفات على الإطلاق و يعطي صاحبه انطباعا سلبيا عنه، وكما يقول المثل الشعبيّ "الطمع يخسر الطبع"

- الإغتصاب :

الاغتصاب ظاهرة اجتماعية منتشرة في كلّ بلدان العالم، ومن أبشع الجرائم ضدّ الانسانية والتي تثير الاهتمام في العصر الرّاهن لما تخلّفه من مشاكل وأزمات وحالات نفسية مدمّرة لدى المغتصبين.

[86] الرواية، ص 46 .

[87] الرواية ، ص 153 ، 154 .

وفي الرواية تسترجع لنا الروائية ذكريات اغتصاب جنود الاحتلال لأرض الجزائر ونسوتها أيضا، ونقلت لنا ظاهرة من ظواهر المجتمع التي عانت منها النسوة أيّام الاحتلال والتي لا تزال إلى يومنا هذا "بعدها عرف أيّوب من عبد النّور بأن جدّة حسين اغتصبها جنود الاحتلال الفرنسي، وبأن والده لقيط، هو بذرة أحد عساكر الاحتلال الفرنسي غرسها في رحمها ، فهربت المسكينة من العار إلى المغرب، هنالك أنجبته ومن المغرب نزح والده إلى إسبانيا، ربّما هروبا من نسب غير معروف . فالفرنسيون لم يغتصبوا الأرض فقط بل اغتصبوا النساء أيضا". [88]

أصبحت هذه الظاهرة لا تعرف التراجع، لأنه لا يكاد يمرّ يوم واحد دون أن نسمع عنها، وأصبحت تثير مخاوف الكثير من النساء و الأهالي ، وهناك من يتستّر على جرائم الاغتصاب ويبقيها طيّ الكتمان نظرا لحساسية الموضوع ، لكن السؤال المطروح مادامت العقوبات المفروضة على المغتصبين لا تجدي نفعا و لا تحدّ من هذه الظاهرة، ما الذي يتوجّب علينا فعله كي نحارب هذه الظاهرة ؟ وإلى متى ستبقى ؟ لأنها مشكلة اجتماعية معروفة منذ القدم و لا زالت تعرف طريق انتشارها إلى يومنا هذا .

- الطّلاق :

تعتبر هذه الظاهرة من أبرز المشاكل الاجتماعية وأكثرها انتشارا في وقتنا الحالي، فالطلاق يؤدي إلى تشتّت الأسرة وضياعها ومن أكبر ضحاياها الأطفال، وقد يقع لعدّة أسباب لعلّ أبرزها الزّواج المبكر والخيانة الزوجية ...، لكن الروائية هنا تنقل لنا حالة الطلاق بسبب إنجاب المرأة للبنات ، وهذا كان فيما مضى لأنه اليوم لم نعد نسمع ان الطلاق يقع لهذا السبب وهذا راجع إلى انتشار الوعي والعلم و السبب العلمي الذي يرجح الرجل على أنه هو من يحدّد جنس المولود "لكنّه كان مشغولا بحلّ مشكلة أخته العايشة التي قرّر زوجها طلاقها بسبب إنجابها للبنات" .[89]

[88] المصدر نفسه ، ص 87 .

[89] الرواية ، ص 68 .

على المرء أن يدرك أنّ الزواج قبل كل شيء هو مسؤوليات، قبل ولوجه إلى هذه المؤسسة، وما دام الطلاق يؤثّر على الفرد والأسرة وبالتالي يؤثر على المجتمع.

وهكذا تمكّنت الروائية من تصوير مظاهر الحياة الاجتماعية للمجتمع الجزائري، وعملت على عرض قضاياه وتحليلها من خلال الشخصيات الروائية .

الخاتمة

الخاتمة:

وبعد هذا العرض في إظهار الجوانب الاجتماعية في رواية قلب الإسباني، رأيت البحث يصل إلى عدد من النتائج:

1/ شهدت فترة الأربعينيات الانطلاقة الفعلية للرواية العربية الجزائرية وذلك مع رواية "غادة أمّ القرى" لأحمد رضا حوحو .

2/ شكّل ظهور مؤلّف القايد بن شريف الموسوم "بأحمد بن مصطفى القومي" النشأة الأولى للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية .

3/ شكلت رواية الدار الكبيرة لمحمد ديب، منعطفا بارزا للرواية الجزائرية، خاصة المكتوبة بالفرنسية.

4/ الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية عرفت هي الأخرى تطوّرا وقفزة نوعيّة في فترة السبعينيّات والثمانينيّات.

5/ عكس الأدب في كثير من الحالات مظاهر الحياة الاجتماعية فترجم واقع المجتمع وأقام العلاقة بين الأديب ومجتمعه.

6/ الرواية العربية الجزائرية اضطلعت بالكشف عن العلاقات الاجتماعية من عادات وتقاليد وموروث وطرحت جملة من القضايا خاصّة ما تعلّق منها بأنواع الصراع الكامن في المجتمع .

7/ رواية قلب الإسباني عرضت لكثير من الجوانب الاجتماعية وأطّرت لفكرة الصراع الحضاري والثقافي والديني بين المجتمعين العربي والغربي.

8/ رواية قلب الإسباني حاولت أن تعيد وشيجة العلاقة بين ما هو عربي ممثّل في الجزائر وما هو تراثي ممثّل في الأندلس.

9/ رواية قلب الإسباني ومن خلال الشخصيات الموظّفة أحصت الكثير من خصائص المجتمع الجزائري من قيمه وعاداته وتقاليده.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

قائمة المصادر والمراجع :

أ/ المصادر :

1- جميلة طلباوي ، قلب الإسباني ، منشورات الوطن اليوم ، الجزائر ، 2018.

ب/ المراجع :

1- إبراهيم خليل ، بنية النصّ الروائي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ط1 ، 2010 .

2- أحمد طالب الإبراهيمي ، عيون البصائر- من آثار الشيخ البشير الإبراهيمي الجزائري ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، ط1 ، 1997م ، ج3 .

3- أحمد فضل شبلول ، الحياة في الرواية قراءات في الرواية العربية والمترجمة ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، مصر ، 2001م .

4- أحمد منوّر، الأدب الجزائري باللّسان الفرنسي ، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر ، 2007م.

5- بيير شارتيه ، مدخل إلى نظريات الرواية ، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط1 ، 2001 م .

6- خالد بن سعود الحليبي ، قلبي بين يديك ، مطبوعات الدمام ، المملكة العربية السعودية ، ط1، 1993 .

7- رنيه وليك ، آوستن وآرن ، نظريّة الأدب ، ترجمة عادل سلامة ، دار المريخ للنشر ، السعودية، 1412هـ / 1992م .

المصادر والمراجع

8- سيّد محمد ساداتي الشنقيطي ، القلب في القرآن ، دار عالم الكتب ، الرياض ، 1993 م .

9- صالح مفقودة ، المرأة في الرواية الجزائرية ، دار الهدى عين مليلة ، الجزائر ، ط2 ، 2009 م.

10- عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1998 م .

11- عبد الملك مرتاض ، القصة الجزائرية المعاصرة ، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر، 1990 م .

12- فضيلة فاطمة دروش ، سوسيولوجيا الأدب والرواية ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط1 ، 2013 م .

13- مصطفى فاسي ، دراسات في الرواية الجزائرية ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، ط1 ، 2000م

14- نضال أحمد النوافعة ، الشعر الاجتماعي في الأندلس ، دار جليس الزمان ، عمان ، ط1 ، 2014 م .

ت/ الرسائل الجامعيّة :

1- قبّنة السعيد ، الأنساق الثقافية في الرواية الجزائرية المعاصرة "سفر القضاة" ل:أحمد زغب نموذجا، رسالة دكتوراه ، قسم اللّغة والأدب العربي ، كلية الآداب واللّغات ، جامعة غرداية ، الجزائر ، 2020 ، 2021 م .

ث/ موقع الإنترنت :

1- أحمد عبد اللطيف شتوح ، التغير الاجتماعي ودلالته في العمل الروائي ، https://www.asjp.cerist.dz

المصادر والمراجع

2- إسماعيل جبارة، البعد الاجتماعي في الخطاب المسرحي الجزائري، https://www.asjp.cerist.dz

3- إسماعيل ونوغي ، الأبعاد الاصلاحية في أدب الامام محمّد البشير الابراهيمي المقال الاجتماعي -أنموذجا-https://www.asjp.cerist.dz

4- آمال برحمة ، الاتجاه الإنساني في أدب فيكتور هيجو وحافظ إبراهيم -دراسة مقارنة- https://www.asjp.cerist.dz

5- بن داود شفيقة ، المحنة وتجلّياتها في الرواية الجزائرية الاستعجالية فضاء المدينة وتماته -نماذج مختارة -https://www.asjp.cerist.dz

6- سعود فطيمة ، المنظور السوسيولوجي للرواية العربية ،https://www.asjp.cerist.dz

7- شيخ علي ، مؤسسات التنشئة الاجتماعية وإنتاج الجريمة في الوسط الاجتماعي ، https://www.asjp.cerist.dz

8- عبد الحميد هيمة ، المأساة الوطنية في الرواية الجزائرية : قراءة في نماذج من الرواية الجزائرية https://www.asjp.cerist.dz

9- عبد العزيز بن مرزوق الطريفي ، كتاب الإيمان من صحيح البخاري ، https://ebook.univeyes.com

10- لمين لبنة ، زواج القصر بين المفهوم القانوني والمصلحة المعتبرة شرعا دراسة على ضوء تعديل قانون الأسرة والتطبيق القضائي لهhttps://www.asjp.cerist.dz

11- مسلم عبيد الرشيدي، صورة الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في المقامات الأندلسية ، مقامات لسان الدين بن الخطيب والسرقسطي نموذجا https://www.iasj.net

12- صطفى إيمان ، العنف ضدّ الزوجة في المجال الأسري ، https://www.asjp.cerist.dz

المصادر والمراجع

13- نصيرة بليليطة ، تيمات القصة القصيرة الجزائرية ، https://www.asjp.cerist.dz

14- نوال بومعزة ، الثورة الجزائرية في الرواية العربية الجزائرية : من الواقعي إلى المتخيّل -دراسة موضوعاتية- https://www.asjp.cerist.dz

15- https://www.pinterest.com.

فهرس الموضوعات

إهداء
شكر
مقدمة .....أ
المدخل: نشأة الرواية الجزائرية وتطورها**01**.....
أ.نشأة الرواية الجزائرية 02
ب.تطور الرواية الجزائرية 05
الفصل الأول: الملامح الاجتماعية في النص الأدبي**07**.....
الملامح الاجتماعية في الأدب.....08
- في فنّ القصّة.....09
- في فنّ المسرحيّة.....10
- في فنّ المقال.....11
- في فنّ المقامة.....12
- في فنّ الشّعر.....13
الملامح الاجتماعية في الرّواية.....14
الملامح الاجتماعية في الرّواية الجزائريّة17.....
الفصل الثاني: صورة المجتمع في رواية قلب الإسباني دراسة تطبيقية21.....
-ملخص الرواية.....23
-دراسة المفهوم الاجتماعي في عتبة قلب الإسباني.....25
-الصورة الاجتماعية في رواية " قلب الإسباني ".....28
الخاتمة49.....
قائمة المصادر والمراجع52.....
فهرس الموضوعات57.....

الملخص:

تحاول هذه الدراسة أن ترفع اللّثام عن كثير من الجوانب الاجتماعية التي تعجّ بها رواية جميلة طلباوي قلب الإسباني.

الكلمات المفتاحية: الرواية – الرواية الجزائرية – النشأة والتطوّر – قلب الإسباني – جميلة طلباوي – صورة المجتمع وملامحه.

Abstract

This study attempts to un cover many of the social aspects of Jamila Talabawi's novel , The Heart of the Spaniard .

Key words: novel - the Algerian novel - origin and development - the heart of the Spaniard - Jamila Talabawi - the image and features of society.

Résumé :

Cette étude tente de découvrir de nombreux aspects sociaux du roman de Jamila Talabawi, Le cœur de l'Espagnol.

les mots clés : le roman - le roman algérien - origine et développement cœur de l'espagnol - Jamila Talabawi - l'image et les traits de la société .